جـامعة الجيـــلالي بـــونعامة خـميس مـليانة
كـلية الـعلوم الإنـــسانية و الاجـــتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التـــاريخ

نشاط النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين

الشيخ عبد الحليم بن سماية أنموذجا

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

من إعداد الطلبة:
- مريم علي تاقوبايت
- ربيعة تعكرميت

إشراف:
أ / أمين محرز

السنة الجـامـعيـة : 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله عزّ و جلّ الذي منحنا القوة و الصبر و وفّقنا في
إعداد و انجاز هذا البحث العلمي المتواضع... كما نتقدّم
بالشكر إلى الأستاذ المشرف الّذي رافقنا طيلة فترة انجاز
هذا البحث و الذي لم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته
و إرشاداته... كما نتقدّم بالشكر إلى كلّ من ساعدنا
في إعداد هذا البحث المتواضع و لو بالشيء اليسير.

الإهداء

اهدي ثمرة عملي إلى الوالدين الكريمين

أطال الله في عمرهما....

إلى أفراد الأسرة الكريمة

محمد، إبراهيم، محفوظ، موسى، شريفة....

إلى كل زملائي وزميلاتي وفقهم الله في حياتهم

إلى كل الأساتذة الذين رافقونا طيلة

فترة تكويننا في الجامعة

بقلم

علي تاقوبايت مريم

الإهداء

بسم الله الذي بفضل عونه وحسن توفيقه كان ثمرة جهدنا هذا العمل المتواضع الذي أتمنى أن تكون منه الاستفادة....

تحية الى نبينا الكريم الذي أتمنى أن يكون شفيعا لي يوم القيامة...

تحية إلى الصحابة والصالحين الذين أتمنى أن أحشر في زمرتهم يوم الدين...

إلى نبع العطف الحنان التي سهرت الليالي من أجلي واعتبرت نفسها شخصا في هذا العالم،

بينما اعتبرتها العالم بأسره بلا منازع أحن وأرق أم... أمي الغالية... أطال الله في عمرها

إلى من ساعدني يوم احتجت إليه

إلى الذي كان صارما في تربيتي... ومرشدا لي في حياتي... أبي العزيز

إلى أخواتي وأخواتي كل باسمه... إلى ابن أختي الكتكوت المحبوب "يعقوب"

إلى كل من عرفني خلال مشواري الدراسي

من الابتدائي إلى الجامعي... خاصة من عشت معهم أجمل وأروع أيام حياتي...

دعواتي بالتوفيق لهم في حياتهم... في طاعة الله وافتراقنا على ذكره

إلى طلبة دفعتي 2017 الّذين اتمنى لهم النجاح في الحياة... العلمية والعملية

إلى كل من عرفته وأحببته من الأهل والصديقات

ولم أدون اسمه فمكانته محفوظة في ذاكرتي

كما لا أنسى كل من ساهم معنا في هذا العمل

من بعيد أو قريب ولو بالشيء القليل

فلهم جزيل الشكر والعرفان

بقلم

تعكرميت ربيعة

الملخص:

تناولنا في هذا البحث العلمي اولا السياسة المنتهجة ضد الجزائريين ما بين (1871م-1900م) والتي ادت الى حدوث ردة فعل قوية من النخبة الجزائرية المثقفة، ثم تناولنا مفهوم هذه الاخيرة حيث انقسمت الى قسمين كبيرين هما: الكتلة المحافظة، الكتلة اللبرالية، كما حاولنا ابراز اهم العوامل الداخلية والخارجية التي كان لها دور كبير في تحريك النخبة الجزائرية وتنشيطها، وفيما يلي حاولنا توضيح طبيعة نشاط النخبة الجزائرية، واهم الوسائل التي عبرت بواسطتها هذه النخبة على مطالبها، وردود الفعل الفرنسية من ذلك، واضفنا في ختام هذا البحث نموذج عن اهم شخصية من عناصر النخبة الجزائرية وهو الشيخ عبد الحليم ابن فتناولنا من خلاله مفهوم نسبه ومولده ونشاته، واهم انجازاته ونشاطاته وفي ختام الموضوع تناولنا وفاته.

Résumé:

Dans cette recherche première politique scientifique fait connue contre les Algériens entre (1871 -1900 AD), qui a conduit à une forte réaction de l'élite intelligentsia algérienne, alors nous avons eu affaire avec le concept de celui-ci où divisé en deux parties: le bloc conservateur, libéralisme bloc, comme nous avons essayé de mettre en évidence le plus important facteurs internes et externes qui ont eu un rôle important dans le mouvement de l'élite algérienne et activées, ce qui suit, nous avons essayé de clarifier la nature de l'activité de l'élite algérienne, et les moyens les plus importants qui ont traversé par lequel ces exigences d'élite et les réponses du verbe français de cela, nous avons ajouté à la fin de ce modèle de recherche pour le personnage principal des éléments élite algérienne et son Cheikh Abdel-Halim Ibn samaia dont le concept de la lignée et sa naissance et de l'éducation, ainsi que les réalisations et les activités les plus importantes à la fin du sujet, nous avons traité avec sa mort.

قائمة المختصرات

1- باللغة العربية:

- ص. = صفحة.
- ط. = طبعة.
- م. = ميلادي.
- تر. = ترجمة.
- ع. = عدد.
- م. ع. ف. = مؤسسة علال الفاسي.
- م. و. ن. إ. = المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار.
- هـ. = هجري.
- إلخ. = إلى آخره.
- ص. = الصفحة.
- ص ص. = الصفحات.
- ط. خ. = طبعة خاصة.
- د. ت. = دون تاريخ.
- تحق. = تحقيق.

2- باللغة الفرنسية :

- op.cit. = *opere citato*
- pp. = pages
- p. = page

مـــــقـــــدمـــــة

شكّل نشاط النخبة الجزائرية، في أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، وسيلة و أسلوب و نموذج جديد في المقاومة الجزائرية للسياسة الاستعمارية الرامية إلى تحقيق الغزو الثقافي و الفكري بعد حسم الغزو العسكري، حيث مكّن هذا النشاط من الحفاظ على القيّم الروحية للمجتمع الجزائري في ظلّ غياب مراكز إشعاعية حضارية مثل جامع الأزهر في مصر و الزيتونة في تونس، كما مهّد هذا النشاط الارضية الخصبة لإعادة بعث المقاومة الجزائرية السياسية التي بدأها حمدان خوجة و أقرانه في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، و شكّلت القاعدة الّتي استمدّت منها الأجيال روح النضال حتّى الظفر بالاستقلال.

حيث لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع بالصدفة، و إنّما اخترناه لعدّة أسباب، و من بينها نذكر:

1- حبّ التعرف و اكتشاف جوانب جديدة من تاريخنا الوطني و السعي لإثراء الرصيد المعرفي الشخصي.

2- الرغبة في معرفة الأساليب و الوسائل الّتي استعملتها النخبة الجزائرية في نشاطها، وكيف كان موقف السلطات الفرنسية من ذلك.

3- الرغبة في تقديم مساهمة متواضعة في مجال الدراسات العلمية الأكاديمية حول التاريخ الوطني.

4- الرغبة في معرفة العوامل الحقيقية الكاملة وراء نشاط النخبة الجزائرية.

5- الرغبة في معرفة هل حققت النخبة الجزائرية الأهداف الّتي كانت تطمح إليها من خلال نشاطها.

وتمحورت إشكالية بحثنا حول معرفة الأسباب و العوامل الّتي دفعت بالنخبة الجزائرية إلى النشاط في مطلع القرن العشرين، و طبيعة نشاط هذه الاخيرة و مدى نجاحها في تحقيق أهدافها، و أرفقنا هذه الاشكالية بمجموعة من التساؤلات:

1- ما المقصود بالنخبة الجزائرية؟

2- فيما تمثّل نشاط النخبة الجزائرية؟

3- ما هي وسائل تعبير النخبة الجزائرية؟

4- كيف كان موقف السلطات الفرنسية من نشاط النخبة الجزائرية؟

واتبعنا في هذا البحث مجموعة من المناهج، و هي:

1- المنهج التاريخي الوصفي: استخدمناه في رصد الأحداث و الوقائع و ترتيبها زمنيا.

2- المنهج التحليلي: استخدمناه في تحليل بعض الأحداث التاريخية.

3- المنهج المقارن: استخدمناه للمقارنة بين فئتي النخبة الجزائرية (المفرنّسة – المحافظة) من حيث طبيعة نشاطها.

إذ أن إعداد هذا البحث العلمي لم يكن بالأمر السهل، لأنّه اعترضتنا مجموعة من الصعوبات، نذكر منها:

1- قصر المدّة الزمنية المخصّصة لإعداد البحث العلمي، و هي أقلّ من سنة واحدة فقط، لأنّ البحث العلمي يتطلّب وقتًا طويلاً لإنجازه.

2- التنوّع النسبي للكتابات التاريخية حول الموضوع، و صعوبة اقتناء الصحيح منها أو الأقرب للصحّة.

3- صعوبة ترتيب و تركيب المادة التاريخية المتعلّقة بالموضوع حسب المنهج التاريخي.

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع، و من أهمّ المصادر نذكر:

1- جريدة الشهاب، و هي الصحيفة الإصلاحية الّتي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس، و قد اعتمدنا عليها في إبراز أهمّية الصحافة المكتوبة في نهضة الأمم.

2- جريدة المنار الجزائرية لصاحبها محمد بوزوزو، و هي صحيفة جزائرية ذات توجّه ثقافي ديني ظهرت في حدود سنة 1951، و اعتمدنا عليها في تعريف الجامعة الإسلامية.

3- كتاب "حياة كفاح" لمؤلّفه أحمد توفيق المدني، و قد اعتمدنا على الجزء الثاني الّذي يعرض لنا أهمّ القضايا الهامّة الّتي تخصّ الواقع السياسي و الثقافي للجزائر، و اعتمدنا فيه على معرفة العلاقة الّتي ربطت أحمد توفيق المدني بالشيخ عبد الحليم بن سماية.

4- كتاب "الجزائر" لأحمد توفيق المدني أيضًا، و الّذي اعتمدنا فيه على معرفة السياسة الفرنسية في الجزائر في حدود سنة 1870م.

5- كتاب "دليل الاستعمار" لمؤلّفه فرحات عباس، و هو عبارة عن مذكّرات تناول فيها أهمّ مراحل نضاله، و أفادنا في التعريف بقانون 1900م الّذي أعطى الاستقلالية المالية للمعمّرين.

أمّا عن أهمّ المراجع، فنذكر:

1- كتاب "الجزائريون المسلمون و فرنسا (1871-1919)"، لمؤلّفه شارل روبيرت آجــرون ؛ و قد درس فيه السياسة العامّة للاحتلال الفرنسي للجزائر من 1871 إلى 1919 و آثارها على الجزائريين في جميع الجوانب، و اعتمدنا عليه لمعرفة مطالب النخبة الجزائرية.

2- الجزء الثاني من كتاب "الحركة الوطنية الجزائرية"، لمؤلّفه أبو القاسم سعد الله، و الّذي أفادنا في تعريف مصطلح النخبة الجزائرية.

3- كتاب "الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية"، لمؤلّفه يحيى بوعزيز، و الّذي أفادنا في معرفة أهمّ نشاطات النخبة الجزائرية المفرنّسة.

4- كتاب "بروز النخبة الجزائرية المثقّفة (1850-1950)" من تأليف الجيلالي صاري و ترجمة عمر معرابي، و اعتمدنا فيه على التعريف بالنخبة الجزائرية.

و قد تناولنا موضوعنا وفق خطّة مدروسة، حيث تطرّقنا في الفصل التمهيدي للسياسة الفرنسية ما بين 1871-1900، و انعكاساتها على الجزائريين الّتي كان أبرزها ظهور النخبة الجزائرية، ثمّ تناولنا في الفصل الأوّل التعريف بالنخبة الجزائرية و العوامل المساعدة على نشاط هذه النخبة ؛ أمّا في الفصل الثاني، فتناولنا نشاط النخبة الجزائرية و ردود الفعل

الفرنسية جرّاء ذلك ؛ و في الفصل الثالث الّذي تمحوّر حول شخصية عبد الحليم ابن سماية، فتطرّقنا فيه لمولده و نشأته و انجازاته العلمية كأحد أفراد النخبة الجزائريين المميّزين.

و في الأخير، نشكر كلّ من مدّ لنا يد المساعدة في إنجاز هذا العمل من أساتذة و زملاء، و نتمنّى أن نكون قد وفّقنا في دراستنا للموضوع و إحاطتنا بحيثياته بشكلٍ دقيق.

و الله ولّي التوفيق

الفصل التمهيدي:

السياسية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة (1870-1900م)، و انعكاساتها

المبحث الأول: أحوال فرنسا و الجزائر في حدود سنة 1870م.

تعتبر مرحلة (1870–1900) من أهم مراحل الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وهذا راجع إلى السياسة التي انتهجتها الإدارة الفرنسية في حق الجزائريين، ولمعرفة هذه السياسة لابد من الإشارة إلى ما تعرضت إليه فرنسا من أزمات ونوائب، حيث انهزمت في معركة سيدان عام 1870م، وسقطت على أثرها الإمبراطورية الفرنسية الثانية، وتمكن الجيش الألماني من الزحف على العاصمة باريس وحاصرها في 9 ديسمبر 1870م، وأجبرت فرنسا على توقيع معاهدة فرانكفورت ؛ أما القائد الألماني "بسمارك"، فقد انطلق في التفاوض مع الدويلات الألمانية وانتهى ذلك في نوفمبر 1870م بانضمام ولايات الجنوب إلى الاتحاد الألماني الشمالي، كما انه تم تنصيب الملك "وليام" إمبراطورا على ألمانيا في 18 يناير 1871م في قاعة المرايا في قصر فرساي وسط احتفالات النصر واثر ذلك تمت وحدة ألمانيا[1].

أما مستعمرة الجزائر أثناء الحرب الفرنسية الألمانية، فتحسنت أحوالها، إذ بدأت تستعيد قوتها ببطيء بعد ثلاث سنوات من الجفاف والآفات التي أرهقتها، فإذا كان المعمرون ملاك الأراضي الساحلية المسقية بصفة أفضل، فإن الجزائريين كانوا عكس ذلك محرومون من كل شيء خاصة من احتياطات الحبوب والمواشي ؛ ولقد استغل هذا الوضع العديد من المعمرين واليهود، وقدموا قروض ربوية مجحفة في حق الجزائريين، وكان الهدف من ذلك ظاهريا تجنب أي حرب أو ثورة من طرفهم، لكنّها أدّت إلى إفقار الأهالي أكثر ؛ و بعد أن تحسّن محصول القمح وغيره من المحاصيل، وجد العديد من الأهالي أنفسهم مجبرين على التخلّي عن أراضيهم لدفع أقساط ديونهم الربوية[2].

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815–1915)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000، ص. 48.

[2] شارل روبيرت أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر. عياش سليمان، ط.1، دار الأمة، ج.1، الجزائر، 2008، ص. 760.

وفي الجانب السياسي، تم تجنيد أبناء مستعمرة الجزائر للمشاركة في الحرب الألمانية الفرنسية حيث نقلوا من أماكن عملهم والتي تمثلت في المستودعات والمخازن إلى ساحات الحروب، مما أدى إلى حصول خسائر في الأرواح، فوصفها "فارنييه" بدولة شبه مريضة[1].

المبحث الثاني: سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة

وكان نتاج ما تعرضت إليه فرنسا طي صفحة النظام الإمبراطوري في فرنسا وقيام الجمهورية الفرنسية الثالثة التي انتهجت سياسة واضحة في حق الجزائريين، وتجلت مظاهر هذه السياسة في أول الأمر بتجريد العسكريين الفرنسيين المعينين من قبل النظام الإمبراطوري من الحكم والقضاء على سلطتهم، وذلك بإصدار قرار أكتوبر 1870م الذي يقضي بتعيين حاكم عام على الجزائر، ويكون هذا الحاكم من المدنيين وليس من صف العسكريين، وأعطوه حق تنسيق الأمور مباشرة مع الوزارات في باريس، بحيث يتبع وزارة الداخلية بدلا من وزارة الحرب وينفذ أوامرها، وهذا ما تمخض عنه إلحاق الجزائر مباشرة بفرنسا، وبذلك أصبحت جميع شؤون الجزائر تابعة للعاصمة باريس[2].

كما أصدرت الجمهورية الفرنسية مرسوما آخر، والذي يتمثل في تجريد الجيش الفرنسي من الإشراف على المكاتب العربية في المناطق الساحلية، وتعكس لنا الإجراءات التي اتخذتها الجمهورية الفرنسية الثالثة من حيث نظام الحكم الجديد محاولة إدماج[3] الجزائر

---

[1] شارل روبيرت أجرون، مرجع سابق، ص761.

[2] نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، كلية الآداب، مصر، 1990، ص67.

[3]الإدماج: هي فكرة جاء بها الفرنسيون تهدف إلى خلق نوع من التعايش بين الفرنسيين والجزائريين حيث من خلاله يعيش الفرنسيون كالسادة والجزائريون كالعبيد، ومن خلاله يجوز للفرنسي أن يتمتع بجميع الوظائف الإدارية والقضائية والعسكرية، كما يجوز له أن يكون رئيس الجمهورية، وكذلك وزير وقائد للجيش، وفي المقابل الجزائري لا يتاح له التمتع بما فوق وظيفة مختارة أي لا يجوز أن يكون قائم مقام ولا معاون له، ولا يجوز أن يكون قاضيا في محكمة أهلية ولا نائبا للقاضي ولا يجوز كذلك أن يكون رئيس قسم بوليس ولا معاونا له، ولا يجوز له أن يرقى في الجيش الر رتبة أعلى من رئيس، كما انه لا يجوز له أن يصبح رئيس بلدية أو نائبا أولا: للمزيد انظر: الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص165.

بفرنسا بشكل أوثق وتوفير أراضي جديدة الاستيطان بعد حصر المناطق الداخلية الصحراوية[1].

وبالتالي أصبحت الجزائر منذ عام 1870م خاضعة لهيمنة عناصر الحكم المدني الذين حاولوا استغلال إهمال الحكومة الفرنسية للوضع، وسعوا من أجل الحصول على المزيد من الامتيازات، معتمدين في ذلك على دعم وضغط ممثليهم داخل البرلمان[2].

وقد انطلقت الجمهورية الفرنسية الثالثة من مخططها الاستيطاني التوسعي حيث عملت على مصادرة الأراضي الأهلية بشتى الطرق، خاصة بعدما قامت بإخماد مختلف الثورات الشعبية مستخدمة ألوان العنف والقهر[3].

ومن أهم تلك الثورات ثورة "الباشا آغا محمد الحاج المقراني" بمساعدة الشيخ محمد الحداد، وقد امتدت هذه المقاومة من بجاية شمالا حتى برج بوعريريج جنوبا، ثم إلى ضواحي مدينة الجزائر غربا ؛ وأخذت الثورة تنتظم وأمرها يشتد ودعوتها تنتشر، إلى أن تمكنت فرنسا من استرجاع العديد من جندها بعد نهاية الحرب الفرنسية البروسية، فوجهتهم ضد الثوار وحدث اشتباك قوي تمثل في معركة البويرة التي اندحرت فيها قوات الثوار واستشهد فيها زعيم المقاومة محمد المقراني. رغم ذلك، واصل المقاومون جهادهم وانسحبوا نحو جبال المنيعة، فكانت القوات الفرنسية في انتظارهم، فحاصرتهم وارتكبت في حقهم أعمال شنيعة كالقتل والعزل وانتهاك الأعراض وإتلاف مختلف الممتلكات[4].

واستمرت المعارك بين الطرفين حوالي ستة أشهر وأسفرت على استشهاد قرابة ستين ألف من الثوار الجزائريين، وقد أصدرت فرنسا أحكام الإعدام على العديد ممن شارك في الثورة أو

---

(1) بلاسي، المرجع السابق، ص. 68.

(2) حياة سيدي صالح، "السياسة الكلونية في الجزائر"، في: مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، ع. 13، 2011، ص. 151.

(3) أحمد محمد عاشور راكس، صفحات خالدة (1500-1962م)، ط.1، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009، ص. 139.

(4) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص. 150.

كانت له يد فيها ؛ أما زعيم الثورة الذي خلف الشهيد المقراني أي السيد أبو مرزاق والشيخ الحداد إلى جانب ولديه محمد وعزيز وخمسمائة من الوجهاء وكبار المنطقة، فقد حكم عليهم بالأعمال الشاقة وتم نفيهم إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة[1].

واغتنمت السلطات الفرنسية هذه الحالة وأعلنت في ثلاثين نوفمبر عام 1882م بإلحاق بلاد ميزاب إلى الأراضي التي سيطرت عليها، ناكثة بذلك معاهدة الحماية التي عقدتها مع سكان بلاد ميزاب في سنة 1853م، بحجة أن الميزابين تركوا الثائرين يغشون أسواقهم خلافا لما جاء في صك الحماية والمؤرخ في أفريل سنة 1853م[2].

وهكذا بدأت فرنسا تتوسع في الجنوب الجزائري وتستولي عليه حتى اتصلت الأملاك الفرنسية بالجزائر بنظيرتها في إفريقيا الغربية[3].

كما قامت فرنسا بإصدار قانون 1873م الذي مس الأراضي العشائرية والمشاعة، التي أصبحت خاضعة لتقسيم الإجباري، وغدت ملك خاص في نظر ذاك القانون ؛ وكان هذا الأخير يهدف إلى تقسيم وتفكيك الأراضي العشائرية إلى أملاك فردية، بحيث تصبح لكل فرد قطعة أرض خاصة به وينفرد بالتالي عن ملك الجماعة. وقد مكنت هذه السياسة فرنسا من السيطرة على المزيد من الأراضي، لأن الفرد الجزائري لا يستطيع خدمة أرضه لوحده بعد فصلها عن الجماعة العشائرية، وجرّاء ذلك، يلجأ إلى بيعها للسلطات الفرنسية و المعمّرين بمبالغ زهيدة ؛ وكانت فرنسا تهدف من وراء هذه السياسة إلى الاستيلاء على كل الأراضي الجزائرية ومنحها للمستوطنين، وبالتالي قامت بتدمير الاقتصاد الفلاحي الجزائري، وقمع أية مقاومات تنشأ عن ذلك[4].

---

[1] المدني، المصدر السابق، ص. 153.

[2] نفسه، ص. 95.

[3] نفسه، ص. 147.

[4] محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1990، ص. 475.

وتجدر الإشارة إلى أن الهدف أيضا من وراء هذه الخطوة والمتمثلة في فصل الملكية وجعلها فردية كان إفقار الجزائريين وتجويعهم عن طريق إجبارهم على بيع ما عندهم لدفع الضرائب حيث قال أحد الفرنسيين: "أنه في عهد الإمبراطورية كنا نحكم الجزائريين عن طريق العرب وبعد سقوطها منذ 1871م قمنا بتسييرها عن طريق الاستيطان، وجاء عن طريق تجريد العرب من الملكية"[1].

وقامت فرنسا تكملة لذلك باستهداف الأوقاف الإسلامية التي لم تسلم منها هي الأخرى، فقامت بالسيطرة عليها وفق حزمة من القوانين والمراسيم، وبالتالي قضت على الشريان الحيوي للمساجد ورجال الدين والقضاء الإسلامي، وأدخلت كل ذلك ضمن أملاك الدولة ووزعتها بطريقة أو بأخرى على الفرنسيين المقيمين في الجزائر[2].

ويمكن على وجهه العموم أن ندمج هذه السياسة ضمن قوانين إجرامية عقابية لتقليص ملكية الأرض للجزائريين، وفتح ثغرات كبرى في الملكيات الأهلية، حيث أصبح الجزائريون يبيعون أراضيهم بشكل متزايد بعد أن فصلت عن الملكية الجماعية[3].

ومن جانب آخر، أبعد الجزائريون من الوظائف بمختلف أنواعها وبالمقابل ابقوا على بعض الوظائف المخزنية مثل: عون أهلي، قايد، آغا، الذين أصبحوا مجرد وسطاء بين السلطة الفرنسية وبين السكان الأهالي، ويشاركهم أيضا السكان المتعاونون مع السلطات الاستعمارية والمجندون النظاميون في الجيش الفرنسي وصغار الضباط في السرايا العسكرية، وفيما يخص الشخصيات الدينية من مرابطين وأصحاب الزوايا، فبقوا يسيطرون على الوضع

---

[1] عمار بحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط. 2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص. 160.

[2] المدني، المصدر السابق، ص. 96.

[3] مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص. 16.

الاجتماعي، وقام عدد قليل منهم بمحاولات محتشمة للتخفيف مع معاناة الأهالي الجزائريين[1].

وبعدما سيطرت فرنسا على الأراضي عملت على تشجيع الهجرة سواء من فرنسا أو باقي الدول الأوروبية، ومنحت الوافدين المال والأرض، وذلك لخلق توازن بين الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر ؛ ولم تكتفي بذلك بل صادرت مساحات أخرى من الأراضي كي تغري المهاجرين بالثروة غير المتوفرة في أوروبا. وتعتبر الفترة الممتدة ما بين عامي 1870 و 1881م ذروة موجات المهاجرين، حيث ارتفع عددهم من 246 ألف مهاجر إلى 376 ألف مهاجر ؛ وكانت فرنسا تطمح من وراء هذا إلى تغليب العنصر الفرنسي المهاجر على بقية العناصر الأوروبية الأخرة[2].

وتكملة لما سبق، أتت فرنسا بآلاف من الألزاسيين الذين لم يرضوا بالرضوخ للنير الالماني وأعطت لهم الاراضي التي انتزعتها من الجزائريين، كما منحتهم الأموال ؛ وهذا ما جعل عددهم يتزايد بصفة كبيرة وقوية. وأمام هذا الوضع، حدث توسع عمراني كبير حيث تم إنشاء حوالي 198 قرية استعمارية يسكنها حوالي 30 ألف من المستوطنين، وذلك خلال الفترة السابقة الذكر[3].

إلى جانب ذلك، منحت فرنسا للأوروبيين المولودين في الجزائر الجنسية الفرنسية، حيث أعلن "مينرفيل" أول رئيس لمحكمة الجزائر "بأنه يتعين على جميع السكان أن يذوبوا في الحضارة الفرنسية، وأن يدركوا بأن قدوم شعب من الشمال جاء ليستقر، كما أكد أن المشكل الذي يواجه سياسة الإدماج هو وجود مجتمعين مختلفين في كل شيء، في العقيدة والفكر وفي العديد من العادات والتقاليد، ولذلك لا يمكن دمجها إلا إذا ابتلع شعب شعبا آخر"،

---

[1] ليلى تيتة، "تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، في: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. 7، الجزائر، 2014، ص. 142.

[2] بلاسي، المرجع السابق، ص. 69.

[3] المدني، المصدر السابق، ص. 98.

ويقصد هنا أن الشعب الفرنسي يبتلع "الشعب" الجزائري عن طريق ما عرف بسياسة الإدماج[1].

وفي ظل هذه السياسة تجاه الأراضي، أصبح الجزائريون يعانون من عدم الاكتفاء الذاتي، لأنهم كانوا يستثمرونها جماعيا ويحققون اكتفاءهم من خلال ذلك، وبفعل هذه العملية تحولوا إلى مجرد خماسين، أو عاطلين عن العمل[2].

أما في الشق الاجتماعي، فأصدرت الجمهورية الفرنسية قانون الأهالي وهو بمثابة قانون عنصري جعل من الجزائريين أشباه عبيد لا يتمتعون من خلاله بأبسط الحقوق، سواء كانت حقوق سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، كما كان يخول للإدارة مصادرة ممتلكات الجزائريين دون تهمة أو محاكمة، أي أنه لا يسمح للأهالي الجزائريين بالدفاع عن حقوقهم أثناء محاكمتهم، كما كانت تطبق عليهم عقوبات القضاء الفرنسي بدلا من القضاء الإسلامي[3].

وتعرض الجزائريون بموجب هذا القرار إلى الحصر والتضييق من طرف السلطات الاستعمارية، كما جرى التضييق عليهم كذلك في أداء فريضة الحج التي تعتبر رمز وعنصر هام من مقومات الشعب الجزائري الدينية[4].

وقد حرم هذا القانون الجزائريين من قسم هام من أملاكهم وأرزاقهم، ونذكر هنا نموذج عن الغابات حيث حرموا من التجوال في غاباتهم التي كانت مصدر رزقهم، كما حرموا من التنقل بين الدواوير بدون رخصة، وفرضت مجموعة من العقوبات الجماعية على بعض المخالفات الفردية، وكذلك فرضت ضرائب تعسفية بدون مراعاة مكانتهم الاجتماعية[5].

---

[1] بحوش، المرجع السابق، ص 159.

[2] العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العربي، ج.1، دمشق، 1999، ص. 17.

[3] عمار عمورة، الموجز في التاريخ، ط.1، دار ريحانة، الجزائر، 2002، ص. 128.

[4] نفسه.

[5] نفسه، ص. 129.

ويشمل قانون الأنديجينا أربعة أحكام منها نذكر سلطة الوالي العام الفرنسي والذي يحق له تطبيق العقوبات على الأفراد الجزائريين دون محاكمة، ثم تأتي بعد ذلك سلطة المسؤولين الإداريين والذين يحق لهم سجن الأفراد ومصادرة أملاكهم دون حكم قضائي يذكر، وكذلك سلطة المحاكم الزجرية والتي تخص الجزائريين المسلمين، وكانت فرنسا تهدف من وراء هذا القانون إلى ترسيخ الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر، وإجبار الأهالي الجزائريين على الرضوخ حتى يصبحوا في نظر الفرنسيين أقنانا، وهم السادة في أرض ليست ملكهم[1].

وتدعيما لسياستها وترسيخا لوجودها أصدرت كذلك مرسوم كريميو [2] الذي أولى عناية كبيرة لليهود الموجودين في أرض الجزائر حتى تتمكن فرنسا من الاستفادة منهم في مختلف المجلات وهذا راجع إلى المؤهلات التي تتمتع بها العناصر اليهودية من قوة مالية واقتصادية، كما كانت فرنسا تهدف من وراء هذه السياسية إلى تفكيك المجتمع الجزائري وحصره في مجال ضيق، وتحسيس اليهود الجزائريين بأن فرنسا ترعى مصالحهم[3].

وقد تم إصدار هذا القرار بتاريخ 24 أكتوبر 1870م أي عندما أصبح أدولف كريميو ينوب عن الجزائر في لجنة الدفاع الوطني، والتي شكلها المدنيون الفرنسيون اثر سقوط الإمبراطورية الثالثة، وقيام الجمهورية الفرنسية الثالثة:

وقد شمل هذا المرسوم حوالي 30 ألف يهودي حسب الإحصاءات، وتم ذلك منحهم الجنسية الفرنسية وأصبحوا يتمتعون بحقوق المواطنة الفرنسية، هذا ما زاد من معاناة الأهالي

---

[1] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص. 231.

[2] أدولف كريميو: هو إسحاق موشي كريميو (1796–1880م)، المعروف بأدولف كريميو وهو محامي وسياسي يهودي انتخب نائبا مرارا منذ عام 1848م، كان آخرها نائبا على مدينة الجزائر في الجمعية الوطنية الفرنسية عام 1871م، كما تولى وزارة العدل مرتين في سنة 1848م والثانية في حكومة الدفاع الوطني التي حكمت فرنسا إلى غاية فبراير من عام 1871م. للمزيد أنظر: رابح لونيسي، تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1989م)، دار المعرفة، ج. 1، 2010، ص. 205.

[3] المدني، المصدر السابق، ص. 25.

الجزائريين، كما كان لبعض الشخصيات الجزائرية أراء حول هذا المرسوم، فمثلا عبر عنه المقراني قائلا:" أن يفعلوا ما يشاءوا"[1].

أما في الشق الديني، فعملت على محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية وكذلك محاربة الثقافة العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري وتميزه عن المجتمع الفرنسي ؛ وقد انتهجت في ذلك مجموعة من الأساليب والطرق، حيث عملت على غلق المدارس الإسلامية والكتاتيب التي كانت تعلم اللغة العربية وكذلك حفظ القرآن الكريم، وبالمقابل دمّرت المساجد أو حولتها إلى ثكنات عسكرية وإسطبلات وكذلك إلى كنائس لنشر المسيحية، وسعت إلى تربية أبناء الجزائر على مبادئها، بالإضافة إلى ذلك عملت على إلغاء العمل بقوانين القضاء الإسلامي وأدخلت بدلها القوانين الفرنسية المخالفة تماما لمبادئ الشرع الإسلامي، وسيطرت كما أسلفنا الذكر على أموال الأوقاف الإسلامية التي تعتبر المصدر الوحيد التي تعتمد عليها الحركة العلمية في الجزائر، وجلبت أئمة موالين لها من أجل إصدار فتاوي غير صحيحة لخدمة مصالحها وأبعدت كل ما يخالف مصلحتها. وما لوحظ على سياسة فرنسا هنا أن حتى المقابر لم تسلم منها ولم تحترم حرمتها، وحولتها إلى مستعمرات زراعية ودنست بذلك حرمتها[2].

وتكملة لمشروعها، أنشأت مؤسسات تعليمية لتعليم اللغة الفرنسية وتاريخها وجغرافيتها حتى تكوّن بذلك جيل من أبناء الجزائر لا يعرفون شيئا عن بلادهم لأنهم من الوهلة الأولى يتعلمون تاريخ فرنسا، وما لوحظ على هذا التعليم أنه لم يكن مفتوحا لعامة أبناء الأهالي، بل إلا لفئة قليلة تخدم المصالح الفرنسية في الجزائر[3]. كما عملت فرنسا على إبعاد الجزائريين من كل تمثيل سياسي لهم سواء أكان ذلك في البرلمان الفرنسي أو داخل الجزائر، وعملت على إخماد الفكرة التي جاء بها نابليون الثالث والمتمثلة في أن يتم إعطاء التمثيل السياسي للأوروبيين والمسلمين على حدّ سواء في البرلمان الفرنسي أو في المجالس المحلية بالجزائر،

---

[1] المدني، المصدر السابق، ص. 25.

[2] جمال عبد الهادي محمد سعود، المجتمع الإسلامي المعاصر، الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2010، ص. 57.

[3] نفسه.

وفي حقيقة الأمر، كان نابليون الثالث يفكر خلال سنوات حكمه الأخيرة أن يسمح للمسلمين الجزائريين، وخاصة الشخصيات المرموقة والأغنياء أن يشاركوا بالثلث في المجالس المنتخبة[1]. و يمكن القول أن نابليون الثالث[2] لجأ إلى هذه السياسة لأنه كان يطمح بتأسيس المملكة العربية حيث اعتبر الجزائر أنها مملكة عربية، ومستعمرة أوروبية، ومعسكر فرنسي[3].

والجمهورية الفرنسية الثالثة كانت ضد فكرة إشراك الجزائريين في التمثيل السياسي، ولم تقم سوى بإشراك بعض الجزائريين الذين يتم اختيارهم في المداولات في المجالس المحلية بالإضافة إلى اللجوء إلى تعيين الأميين الذين لا يعرفون شيئا عما يدور حولهم في المناقشات ؛ وبعبارة أخرى، فالأوروبيين يقومون بإجراء انتخابات لممثليهم ويصوتون ويتخذون القرارات ثم يعملون بانتقاء وتعيين أعوانهم للعمل معهم في المجالس المحلية. ومن هذه السياسة يتضح أن الأهالي كانوا مهمشين من الناحية السياسية، ولا يعطى أدنى اعتبار لحقوقهم الساسية، وهذا يوضح مدى ظلم السلطات الاستعمارية للجزائريين وحرمانهم من أبسط حقوقهم[4].

ولقد أدت هذه السياسة إلى تهميش الأهالي الجزائريين وهضم تام لحقوقهم وطمس عناصر هويتهم خاصة في مجال الدين واللغة، مما ما انعكس سلبا عليهم[5].

---

[1] بوحوش، المرجع السابق، ص. 161.

[2] نابليون الثالث: هو شارل لويس نابليون ولد في 20 أفريل 1808م، صار رئيسا لفرنسا ما بين (1848–1852م)، ثم إمبراطورا لفرنسا باسم نابليون الثالث ما بين (1852–1870م)، كان يطمح لتأسيس إمبراطورية كبيرة فوضع مشروع للتوسع في غرب إفريقيا ثم اتجه نحو شرق إفريقيا للتحكم في نهر النيل. للمزيد انظر: حسن هردي فرغلي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، العمامرية للنشر، الإسكندرية، 2008، ص. 154.

[3] عباس فرحات، تشريح حرب، تر. احمد منصور، دار المسك، الجزائر، 2010، ص. 50.

[4] بوحوش، المرجع السابق، ص. 161.

[5] أحمد مهساس، الحركة الوطنية في الجزائر، تر. الحاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص. 39.

المبحث الثالث: انعكاسات السياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة على الجزائر.

على الرغم من سياسة الجمهورية الفرنسية الجلية والمتشددة على الجزائريين، إلا أن الجزائريين لم يستسلموا لذلك خاصة الكتلة الواعية منهم التي تكونت في مختلف المدارس الفرنسية من جهة أو التي تكونت في المدارس العربية والكتاتيب من جهة اخرى، حيث بدأت ترتفع أصواتها منددّة بتجاوزات السياسة الاستعمارية مستغلة بذلك جميع الظروف والوسائل المتاحة لها في ذلك الوقت، من صحافة مكتوبة وجمعيات وكذلك النوادي[1]. لأن هذه المرحلة كانت تتطلب ذلك خاصة وأن فرنسا تمكنت من القضاء على آخر المقاومات الشعبية مثل ثورة المقراني، ودعمت سياسة المستوطنين على الدوام كما حصل لدى حصولهم على الاستقلالية المالية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر [2].

وكان نشاط هذه الكتلة الواعية نشاطا سلميا، وذلك عن طريق تقديم العرائض وإرسال الوفود مستعملة في ذلك أهم الوسائل المتاحة في ذلك الوقت، والتي تمثلت في الصحافة المكتوبة والنوادي والجمعيات ؛ وكانت مواضيع ومطالب هذه النخبة مطالب اجتماعية، وقد ناضلت ونشطت هذه النخبة طيلة الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن خلال نشاطها اتضح أنها ليست لها نفس المطالب والأهداف، ويتضح ذلك من خلال مطالب كل فئة، والتي سنوضحها لاحقا[3].

---

(1) مهساس، المصدر السابق، ص. 39.

(2) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط.1، ج. 4، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص. 56.

(3) أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط. 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص. 143.

الفصل الأول :

النخبة الجزائرية وعوامل تحرّكها

تطرقنا في بداية هذا الفصل إلى مفهوم النخبة الجزائرية حيث حاولنا فيه إعطاء مفهوم دقيق وواضح حول هذه النخبة، والتي كان لها دور فعال وبارز في هذه الفترة وهي تنقسم إلى قسمين رئيسين والمتمثلة في كتلة المحافظين والكتلة المفترسة.

كما تحدثنا بعد ذلك عن أهم العوامل التي كان لها دور في دفع هذه النخبة إلى البروز بعدما كانت في حالة ركود، وهذه العوامل أوردناها في شقين، وهما: شق خارجي والصادر بالتحديد من المشرق العربي الذي عرف حركة نهضوية قوية، وشق من دول أوروبا، التي كان لها دور هام من خلال تعريف الجزائريين على أهم الوسائل الجديدة في الكفاح ؛ وشق داخلي نابع من السياسة الفرنسية المنتهجة في حق الأهالي الجزائريين، حيث أصبحوا يعانون من تخلف وانحطاط في جميع المجالات.

المبحث الأول: التعريف بالنخبة الجزائرية.

النخبة من الناحية اللغوية مشتقة من الفعل نُخَبَ ومعناه المختار من الشيء، وجمعها ناخبات، وهم المنتخبون من الناس[1]. أما اصطلاحا، فيمكن تعريفها بأنها جماعة من الناس تميزوا بتفوقهم العلمي والثقافي والاجتماعي، ويكون ذلك عن طريق السلطة أو النفوذ السياسي، إذن فهي الجماعة المرشحة لريادة أفراد مجتمعاتنا وقيادتهم نحو الإصلاح[2].

وفيها يخص النخبة الجزائرية، التي نحن بصدد دراستها فقد تعددت تعريفاتها، فمثلا عرفها المستعرب الفرنسي جورج مارسيه (Georges Marçais) الذي كان مدير المدرسة الفرنسية الجزائرية الإسلامية بتلمسان بأنها «ليست تلك الأقلية من الموظفين والمحامين والصحافيين والمعلمين، بل كذلك الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة الفرنسية والثقافة الإسلامية، والذين يعرفون في نفس الوقت عن مؤلفي العصر الإسلامي الذهبي وكتاب التراث الفرنسي»[3].

كما شبه الكاتب والصحفي الفرنسي سيرفييه (Servier) الذي عاش في الجزائر جماعة النخبة الجزائرية بجماعة تركيا الفتاة[4] وكذلك بجماعة مصر الفتاة في الطموح و الآمال وفي تولي الزعامة، فقد وصفهم بأنهم فخورين يحملون معهم أفكار سيئة، أي معادية لفرنسا غير

---

(1) مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة العربية والإعلام، دار المشرق، بيروت، 1990م، ص. 796.

(2) بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص. 119.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1945م)، دار المغرب الإسلامي، ج. 2، بيروت، 2005م، ص. 160.

(4) تركيا الفتاة: هي حركة ذات سياسي تأسست سنة 1889 أثناء الذكرى المئوية للثورة الفرنسية، ذلك أن عددا من طلاب المدارس التركية خاصة طلاب الطب العسكري في اسطنبول، شكلوا جماعة سرية معارضة بسلطان عبد الحميد الثاني، وهذه الجمعية نظمت نفسها على النمط الأوروبي، وكانوا يطمحون إلى تطبيق الأفكار التي تعلموها على المقاعد الدراسية في مؤسسة الطب العسكري، وكانوا يهدفون إلى إنقاذ الإمبراطورية العثمانية من الانحطاط الذي وصلت إليه لأنهم كانت تحركهم نزعة وطنية متحمسة، كما أن عناصرها ينتمون إلى كل من العرب المسحيين والألبانيين، والأكراد، والأتراك. للمزيد انظر: روبرت مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر. بشير السبعي، ج. 2، دار الفكر لدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص. 228.

راضين بالحالة التي هم فيها، قلقين، طموحين حالمين بتحقيق أهدافهم من خلال الدور الذي يقومون به في شؤون بلادهم الجزائر، ولكن سيرفي وضح تكملة لذلك أن جماعة النخبة الجزائرية لم ترفع علم «الجزائر للجزائريين»، خلافا لأعضاء تركيا الفتاة الذين كانوا يحاولون استعادة مجد إمبراطوريتهم، ولأعضاء مصر الفتاة الذين كانوا يطالبون «بمصر للمصريين»[1].

وقد عبر علي مرّاد في تعريفه للنخبة الجزائرية بقوله: «إنها تلك الجماعة التي تحسن اللغتين، وينتمون إلى الطبقة المثقفة، أي تلك التي درست تاريخ الحضارة العربية و الفرنسية»[2].

وعليه، يمكن اعتبار النخبة الجزائرية بأنها الإرهاصات الأولى لظهور التيارات السياسية في الجزائر، وذلك بالنظر إلى تباين مطالبها، وكذلك اختلاف التكوين السياسي والاجتماعي لهذه النخبة، لأن العوامل الاقتصادية والاجتماعية تلعب دور كبير في تكوين الشخصيات بمختلف توجهاتهم، والنخبة الجزائرية انقسمت إلى قسمين بارزين:

1- كتلة المحافظين:

ضمت هذه الكتلة كل من العلماء وزعماء الطرق الصوفية والأعيان[3]، وضمت كذلك المحاربين القدماء الذين كان لهم دور كبير في التصدي للاستعمار الفرنسي منذ البداية وكذلك المرابطين[4].

وهذه الكتلة حصلت على تكوينها في المدارس القرآنية والكتاتيب والمدارس الإسلامية الحكومية، وكذلك بعض المساجد من خارج الوطن أي في كل من المغرب الأقصى وتونس والمشرق العربي[5].

---

[1] سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 160.

[2] نفسه، ص. 160.

[3] عبد النور خيثر، منطلقات الحركة الجزائرية (1830-1954م)، دار كراكدة، الجزائر، 2010م، ص. 240.

[4] الطالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية، تر. حنفي عيسى، الجزائر، 2010م، ص. 270.

[5] عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013م، ص. 267.

ويعرفها البعض أنها جميع العناصر التي قبلت «المحافظية» والتي تعني الإبقاء على النظم الإسلامية والتعليم العربي والقيم الإسلامية[1]، ومن بين الشخصيات التي لعبت دور بارز في هذه الكتلة نجد «عبد القادر المجاوي»[2]، «سعيد زكري» و«حمدان بن لونيسي» الذي تميز بتفوقه العلمي والأخلاقي، وما لوحظ على عناصر هذه النخبة أنهم كانوا ضد التشريعات الفرنسية ومشاريعها الرامية إلى دمج الجزائر في فرنسا[3].

وقد تميزت هذه النخبة عموما بثقافتها العربية الإسلامية العالية، هذا ما جعلهم يطالبون بالحفاظ على الشخصية الإسلامية في إطار التمتع بالحقوق الفرنسية، وقد انطلقت هذه النخبة على يد أحمد برحال، وتوسعت أكثر على يد الأمير خالد ؛ وقد تأثروا بأفكار محمد عبده ونظيره رشيد رضا الذين ترأسوا حركة واسعة في البعث الثقافي المتفتح في المشرق. وكانت هذه النخبة تدعو إلى الرجوع إلى المصادر الأصلية للإسلام أي القرآن و السنة المحمدية، وكذلك إعادة الاعتبار للسلف الصالح وإعادة الإسلام إلى حالته الأولى ؛ أما على الجانب الثقافي فدعوا إلى ضرورة تعليم اللغة العربية، على اعتبارها أحد عناصر الهوية الجزائرية ويظهر ذلك من خلال دعوتهم إلى تأسيس المدارس القرآنية لتعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم[4].

أما أغلب المؤرخون الفرنسيون، فعرفوها بأنها النخبة التي أرادت أن تحافظ على أصالة المجتمع الجزائري وانتمائه إلى الحضارة العربية الإسلامية في ظل الاستفادة من تجارب الفرنسيين. ويضيفون إلى هذه النخبة كل من يقف إلى جانب الإصلاح الإسلامي وحركة

---

[1] سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 160.

[2] عبد القادر المجاوي: هو عبد القادر ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي نسبة إلى قبيلة شمال المغرب الأقصى، بتلمسان سنة (1264هـ-1848م) في أسرة اشتهرت بالذكاء والعلم والدين، وكان والده من الفقهاء والقضاة، ادخله، وهناك أتم حفظ القران وأكمل دراسته. للمزيد انظر: محمد الصالح الصادق، أعلام من المغرب العربي، ط. 2، ج. 1، دار كراكدة، الجزائر، 2008م، ص. 40.

[3] محفوظ قناش، الحركة الاستقلالية في الجزائر (1919-1935)، مركز الطباعة، الجزائر، 1982م، ص. 23.

[4] نفسه، ص. 24.

الجامعة الإسلامية ويتعاطفون مع الدولة العثمانية والنهضة العربية في المشرق التي دعت إلى إصلاح أوضاع العرب[1].

ويمكن تقسيم عناصر هذه النخبة من خلال نظرهم إلى الإصلاح إلى قسمين:

- القسم الأول: أرادوا التغيير ولكن داخل الإطار العربي الإسلامي للجزائر ورفضوا التجنيس والتعليم الإجباري الفرنسي وبالقابل طالبوا من فرنسا تنظيم المدارس العربية الإسلامية وإعادة العمل بالقضاء الإسلامي والمساواة في الحقوق السياسية، وعدم التدخل في العادات والتقاليد وحملوا شعار المتمثل في الإصلاح، لكن من خلال المحافظة على عناصر الشخصية الجزائرية وتقاليدها، وقد كان أغلب عناصر المحافظين ينتمون إلى هذا القسم[2].
- القسم الثاني: ذهب عناصره إلى تشجيع التعليم الفرنسي، وحمل رسالة فرنسا الحضارية في الجزائر لكن بالمقابل عارضوا التجنيس والخدمة العسكرية الإجبارية والإدماج، وحمل هذا القسم شعار وهو الإصلاح بكل الوسائل لأن المجتمع الجزائري يتطلب ذلك كونه في تخلف وتدهور كبير، ومن أهم عناصره ابن الموهوب[3].

وظهرت كتلة المحافظين بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، وبهذا بادروا بإصلاح ديني وأخلاقي، ومنهم نذكر الشيخ ابن مهنا الذي كان له دور فعال في يقظة أهل قسنطينة في حدود سنة 1898م، هذا ما جعل السلطات الفرنسية تقوم بإعادة ومصادرة مكتبته والتي لا تقدر بثمن[4].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر (1830-1962)، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 108.

(2) سعد الله، تاريخ الحركة...، ج. 2، ص. 148.

(3) نفسه، ص. 149.

(4) عمار طالبي، الإمام عبد ابن باديس حياته وآثاره، ط.خ.، دار كراكدة لنشر والتوزيع، ج. 1، الجزائر، 2013م، ص. 202.

أخذت هذه النخبة من الثقافة العربية حظا معتبرا منذ أواخر القرن التاسع، وحظا آخر من الثقافة الفرنسية، وبالمقابل تودد لها الاستعمار الفرنسي من أجل أن تلتزم الحياد على مستوى التعبير والسلوك على الأقل حيث أتاح لها نشر التراث القديم ضمن السياسة الفرنسية، وخير من مثل هذه الفئة في التأليف هو ابن أبي شنب[1] الذي ألف بالعربية والفرنسية، وأنجز مجموعة من البحوث والدراسات، وحقق آثارا أدبية هامة مثل «رحلة الورتلاني»، وكذلك «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار»[2].

وتأثرت هذه النخبة بمعلمين وأساتذة بالمدارس الفرنسية الرسمية التي تأسست في شهر سبتمبر 1850م من قبل الإدارة الفرنسية للإشراف على المؤسسات الدينية الإسلامية، وهي : قسنطينة، تلمسان، والمدية، كما تأثروا كذلك ببعض شيوخ الطرق الصوفية، وبعض الصحفيين[3].

وكانت هذه النخبة أكثر تعلقا بتقاليد المجتمع الجزائري، وبالتالي عبرت عن نفسها خارج الأشكال العصرية، داعية إلى الحفاظ على أصالة المجتمع الجزائري[4] ؛ وبهذا اقتصرت مطالبهم بمساواة الجزائريين الاجتماعية والاقتصادية مع محافظتهم على الأحوال الشخصية طبقا لمرسوم نابليون الثالث الصادر في عام 1870م[5].

---

[1] ابن أبي شنب: ولد سنة 1869م في المدية وتعلم فيها أوليات العلوم بما فيها القرآن الكريم، وكان من تلك الفئة المضطهدة من طرف الاستعمار الفرنسي، وقد تدرج في التعلم فانتقل إلى العاصمة والتحق بالمدرسة النورمالية (مدرسة الأساتذة) ؛ وصادف ذلك بداية التحول في الفلسفة الاستعمارية نحو تعليم «الأهالي»، وقد عارض سياسة الإدماج. للمزيد انظر: سعد الله، أبحاث وآراء...، ج. 4، ص ص. 196-197.

[2] عمر قينة، المشكلة الثقافية في الجزائر، ط. 1، دار أسامة لنشر والتوزيع، عمان، 2000م، ص. 25.

[3] نفسه، ص. 26.

[4] سليمان الشيخ، دراسة تحليلية للحركة الوطنية والثورة المسلحة، تر. محمد حافظ الجمالي، الدار المصرية، القاهرة، 2002م، ص. 200.

[5] رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، جامعة الجزائر، 2001، ص. 231.

2- النخبة المفرنسة:

تمتلك هذه النخبة ثقافة غربية في عمومها، وقد أطلق عليها عدة أسماء مثل: المثقّفين (Intellectuels)، و المتطوّرين (Evolués) ؛ وقد تلقت هذه النخبة تعليمها في المدارس الفرنسية، وتأثروا بثقافتها وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها، كما اقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها، وتحمسوا إلى فكرة الإدماج، وبذلك ارتموا في أحضان الحضارة الفرنسية وتجاهلوا حضارتهم العربية الإسلامية[1].

وقد عرفهم كذلك أحد الفرنسيين حيث قال: «أنهم الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية، والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة»[2].

وأطلق عليهم كذلك اسم البرجوازية الجديدة، أو المثقفين بالثقافة الفرنسية، وتبنوا أفكار الإدماج والتجنس والمساواة والتسامح والعدالة والمواطنة الفرنسية، وهذا بسبب تكوينهم الفرنسي البحت، وبالمقابل أنكرت وجودها وأصالتها العربية الإسلامية، لأنها تربت تربية فرنسية خالصة في محيط وبيئة فرنسية بعيدة عن واقعها، بل وكانت تعتمد اعتمادا أعمى على أن الثقافة نفسها تنحصر في الثقافة الفرنسية وحدها، وأن تاريخ الجزائر يبدأ من سنة 1830م، وقدسوا إعلام الفكر الغربي، واعترفوا كذلك بأن للاستعمار الفرنسي بعض المحاسن والمزايا[3].

وقد كان أعضاؤها طموحين ومتفتحي العقل على المطالب السياسية والاجتماعية، من أولئك الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة العربية والفرنسية كمترجمين ومحامين ومعلمين وصيادلة وقضاة وصحفيين، وهم يحظون باهتمام خاص نظرا لدورهم الهام في دفع القضية الجزائرية خلال عهد النهضة، وما لوحظ على هذه النخبة أنها لم تتبنى أفكار الغرب فحسب

---

[1] سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ص. 231.

[2] طالبي، المرجع السابق، ص. 251.

[3] سعد اللّه، تاريخ الحركة...، نفس المرجع السابق، ص. 232.

بل تعدتها إلى وسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه، كما أرادوا جعل المجتمع الجزائري مجتمع أوروبي، وهذا ما جعلهم يفقدون هويتهم[1]. وحاولت هذه النخبة تقليد فرنسا وحضارتها في كل شيء[2].

وقد شعر عناصر هذه النخبة بعقدة الكمال إزاء المجتمع الجزائري، وبعقدة النقص تجاه المجتمع الفرنسي هذا ما جعلهم يفقدون لغتهم وعاداتهم واحترام صداقة مجتمعهم وأداروا وجوههم نحو الحياة الأوروبية، وكان حديثهم الفرنسية، وعلموا كذاك أبنائهم في المدارس الفرنسية، وكانوا جاهلين لتاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وتأثروا بكتابات المدارس الفرنسية التي أوضحت أن الجزائر قبل الاحتلال كانت تعيش في اضطراب وفوضى، وبالتالي قاموا بمدح فرنسا بحجة توفير الأمن والهدوء إلى الجزائر، ومجّدوا الاستعمار بذلك وبرروا أنه قدّم للجزائريين مجموعة من المحاسن الاجتماعية والاقتصادية، وقد نعتوا المعمرين واعتبروهم عناصر مستبدة[3].

كما أن هذه النخبة في تكوينها لم تحصل غالبا على تعلم فرنسي جاد، بل حصلوا على تعليم ينفع فقط للوظائف الخدماتية مثل الطب والصيدلة، وكذلك تعلم تاريخ فرنسا وحضارتها، لأن فرنسا من خلال هذه السياسة كانت تهدف إلى خلق فئة من الجزائريين للاعتماد عليهم في خدمة مصالحها[4].

والنخبة المتفرنّسة هي نخبة مدنية جاءت نتيجة الاتصال والاحتكاك بفرنسا، وشاركت هذه النخبة في العمل السياسي بطريقة مباشرة، ولو دققنا في هذه النخبة لوجدناها لا تسعى للتخلي عن الهوية الوطنية الجزائرية، بل تسعى لتطبيق الثقافة الغربية الفرنسية، وأمام هذا

---

(1) محمد عباس، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، الدار المعاصرة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص. 16.

(2) الإبراهيمي، المرجع السابق، ص. 251.

(3) سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 105.

(4) فركوس، المرجع السابق، ص. 230.

نقول أن هذه النخبة تعد من نتاج المدرسة الفرنسية العلمانية والجمهورية الفرنسية[1]، وقد حدد الأستاذ علي مرّاد فترة ظهورها، فقال: «فهم مثقفون مسالمون، والذين كان ظهورهم في نهاية القرن التاسع عشر، والذين بالإضافة إلى وظيفتهم الاجتماعية كان اهتمامهم بالمسائل السياسية»، كما قدر علي مرّاد عدد عناصر هذه النخبة وحصرهم في أولئك الذين حصلوا على تكوين جامعي أو على الأقل تكوين ثانوي، فقال: «كانوا حوالي مائة شخص وكانوا ينتمون إلى أسر ميسورة الحال، ونتيجة لتكوينهم بالمدارس الفرنسية أصبحوا يحسون بعدم المساواة بينهم وبين الفرنسيين، وعدم وجود التمثيل السياسي للجزائر الذي يمكنهم من خلاله استرجاع جانب من حقوقهم»[2].

ويذهب البعض الأخر إلى تعريف هذه النخبة ويطلق على عناصرهم اسم «الفتيان الجزائريين»، ويرجع ذلك إلى التأثر بالحركات التي ظهرت في مختلف الأقطار العربية مثل «الفتيان المصريين»، كما انضمّت إليهم كذلك عناصر من أصحاب الصناعات الصغيرة ذوي الثقافة الفرنسية الداعية إلى الاستيعاب بدون قيد، وأطلقت هذه التسمية على عناصر هذه النخبة تقريبا في حدود سنة 1909م[3].

ومصطلح «الشبان الجزائريين» ورد بالتحديد من الدول الغربية، كما روجت له وسائل غربية ؛ وكان الهدف من وراء هذا الترويج هو إبراز دور هذه النخبة المتكونة في المدارس الفرنسية الاستعمارية التي أسسها الاستعمار في البلدان المستعمرة على حساب النخبة المحافظة التي أطلق عليها اسم النخبة التقليدية، والتي فاتتها في نظر الفكر الاستعماري الغربي أساسيات التطور، بحيث لا يفهمون من روح العصر الجديد شيئا، كما قام الاستعمار الفرنسي باضطهاد عناصر هذه النخبة[4]. ولم تكن حركة الشبان الجزائريين حركة وطنية

---

(1) يحي بوعزيز،سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830م-1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص. 220.

(2) عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصليبي (1830-1962م)، وزارة الثقافة الجزائر، 2010م، ص. 170.

(3) محمد تقية، الثورة الجزائرية، تر. عبد السلام عزيز، دار القصبة لنشر، الجزائر، 2000م، ص. 12.

(4) أبو القاسم سعد الله، بحوث في تاريخ العرب الحديث، ط. 2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2015م، ص. 206.

بحتة مثل حركة شبان تونس ومصر وتركيا، لأنهم من خلال مطالبهم اتجهوا إلى الدخول ضمن المجتمع الفرنسي وثقافته[1]، وظهرت حركة الشبان الجزائريين بشكل فعلي وعلني بالتحديد سنة 1892م، حيث أن جول فيري (Jule Ferry)[2] الذي كان يسعى إلى تثبيت الوجود الاستعماري في ذهنية الأهالي، وتكون عقلية أهلية قابلة لتقبل ذلك[3]، وتعرف على ثلة منهم الذي آنس لديهم وعيا سياسا علميا، فحدثوه بذلك عن المشاكل المرتبطة بمسألة التجنيس والتمثيل النيابي لإخوانهم الأهالي، كما احتجوا له كذلك عن الممارسات التعسفية التي يمارسها موظفي الإدارة الفرنسية في حق الأهالي وطلبوا كذلك بتشجيع المدارس الإسلامية، فلقوا بذلك قبول عند جول فيري الذي سجل مطالبهم على كناشه، وبهذا نقول أن عناصر هذه النخبة تميزوا عن غيرهم بلهجة جديدة ومتميزة في المجتمع الجزائري[4].

كما أن ظهور هذه الفئة من الشبان الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية التي كانت تطمح لذلك منذ البداية، من أجل خدمة مصالحها، ونذكر هنا ما قام به جول كامبون (Jules Cambon)، حيث كان منشغل بفكرة توظيف فئة جديدة من الأهالي سعيا منه إلى تشكيل ما يمكن اعتباره بمثابة "قيادة أركان للمثقفين المسلمين"، وهذه الفكرة طرحت في 16 أفريل 1897م في مؤتمر المستشرقين في الجزائر، حيث استقر الأمر على دعوة بعض عناصر هذه النخبة إلى باريس، وبالتحديد إلى مدرسة الحرية لمساعدتهم على تأسيس حزب

---

[1] قناش، المرجع السابق، ص. 23.

[2] جول فيري (Jules Ferry): ولد في 5 أفريل سنة 1832م، كان من اشد أنصار الحركة التوسعية الاستعمارية الفرنسية، أسس الحزب الاستعماري وساهم في تمويل الكثير من الحملات الاستعمارية، ومارس كذلك دعاية إعلامية في مختلف وسائل الإعلام التي شجع من خلالها التوسع الاستعماري، وتبنى مقولة أن الأجناس أو الشعوب تتمتع بواجب الوصاية والرعاية على شعوب البدائية المستعمرة، وبأن الشعوب الأولى تضطلع بدور تحضير وتأهيل الشعوب الثانية، كما نظم مؤتمرات وندوات لشرح أبعاد التوجه الاستعماري. للمزيد: إياد علي الهاشمي، تاريخ أوربا الحديث، ط. 1، دار الفكر، عمان، 2010م، ص. 211.

[3] أحمد مريوش، "موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي في الجزائر خلال فترة الاحتلال "، في: مجلة المؤرخ، ع. 9-10، الجزائر، 2010م، ص. 277.

[4] Charles-Robert Ageron, les Algériens musulmans et la Français (1871-1919), ENAG, Alger, 2010, pp. 704-706.

ليبرالي ؛ كما أعلن كل من: إدموند دوتي (E. Doutté) ووليام مارسيه (W. Marçais) في حدود سنة 1901م على ظهور حركة في الجزائر تتكون من شبان مسلمين شبيهة بحزب «الشبان الأتراك»، وكانوا يطمحون إلى تحديد أمور دينهم على ضوء الأفكار المقتبسة من الحضارة الأوروبية ؛ وكان طموحها متمثل في التوفيق بين الإسلام ومقتضيات العصر، وتحقيق انسجام أكبر بين التقاليد والمعتقدات، وتفسير القرآن بأسلوب عقلاني. وعلى الرغم أن هذه الفئة كانت تروج لأفكار غربية، إلا أن فرنسا حذرت منها لأنها اعتقدت أنها سوف تكون جيل من المسلمين المعارضين والتائهين وراء أوهام الجامعة الإسلامية، وبالتالي ينقلبون ضدها في الأخير[1].

وتحيزت هذه النخبة إلى فرنسا وقوانينها، وابتعدت عن دينها وحضارتها وانتمائها العربي الإسلامي، وبالتالي اعتمدت على القوانين الفرنسية من أجل المطالبة بحقوقها[2]. أما المتتبع لمسار تكوين هذه النخبة، فيلاحظ أن تكوينها كان بطيء جدا، حيث وصفها الكاتب الفرنسي بوسكي (Bousquet) فقال: «إن ظهورها كان مؤلم» و«بطئ»، وضمت أقلية مميزة منفصلة عن أغلبية ناقصة تتكون من الأهالي[3] المستضعفين، كما عرفت هذه النخبة مع مرور الوقت انقساما بسبب ما أصدرته فرنسا من إصلاحات شكلية[4].

---

(1) Ageron, op.cit., p. 707.

(2) Abbas ferhat, Le Jeune Algérien, ENAG, Rouiba, 2009, p. 9.

(3) الأهالي: هو اسم أطلق على السكان الأصليين للمستعمرات ويعني التحقير بهم واستخدمته فرنسا في مستعمراتها لتميز بين الفرنسيين المستوطنين والسكان الأصليين، وطبقته في الجزائر فقامت بتأسيس نظام قانوني وإداري خاص بالأهالي سمي بالقانون الأهلي يتضمن أحكام تسيرية عنصرية. للمزيد انظر: صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب، الجزائر، 2008م، ص. 49.

(4) سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 161.

المبحث الثاني: العوامل الخارجية المؤثرة في نشاط النخبة في مطلع القرن

هنا مجموعة من العوامل الخارجية كان لها دور بارز في الدفع بالنخبة الجزائرية إلى النشاط في مطلع القرن العشرين، وسوف نوضحها في الشكل التالي:

1- حركة الإصلاح والجامعة الإسلامية في المشرق العربي:

الجامعة الإسلامية هي حركة تدعو إلى تضامن بين المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة في مواجهة الحركة الاستعمارية، وكانت مبادؤها تقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي، وذلك بتجميد العقل والعودة إلى مذهب السلف أي العصر الإسلامي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته[1].

وتوسعت هذه الفكرة في أرجاء العالم الإسلامي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكانت تهدف إلى فك الشعوب من مخالب الاستعمار وسيطرته، وزادت هذه الحركة إيمانا وثقة ببلوغ الهدف بشعور هذه الشعوب بقدرتها على تسيير شؤونها بنفسها بفعل علماء الإسلام ومفكريه ؛ فأصبح الإيمان بالنصر قويا والتأكد من ضعف الدول الاستعمارية وزوال شبح عظمتها وجبروتها، واتجهت إلى توحيد المسلمين والعمل على ترقيتهم الفكرية السياسة والدينية والاجتماعية ؛ وقد اثبت هذه الأخيرة مدى قدرة الدين الإسلامي على النهوض بالشعوب المنحطة واحتوائه لجميع شروط الحضارة المعاصرة[2].

وقادها الشيخ جمال الدين الأفغاني حيث يعد فاتح هذا العهد لأنه استطاع بجدارة هز أركان الاستبداد هزا عنيفا وحطم قيود العبودية ورسخ طريق الحرية والاستقلال ووقف معه الشيخ محمد عبده [3] الذي حمل لواء الإصلاح في المشرق العربي[1].

---

[1] سعد الله، تاريخ الحركة....، المرجع السابق،ج. 2، ص. 109.

[2] يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية بين الحربين، دار هومة، الجزائر،2013، ص. 59.

[3] محمد عبده (1845-1905): درس في الأزهر العلوم الطبيعية والتاريخية إلى جانب الدراسات الإسلامية، مما أعطاه انفتاح على عصره، وانشغل بالتدريس، كما شارك في ثورة العرابي، فأبعد عن مصر إلى بيروت وباريس حيث التقى بجمال الدين الأفغاني الذي تأثر به وأصدر معه مجلة العروة الوثقى ؛ وتتلخص أراء محمد عبده في العودة إلى الإسلام الصحيح

كما تبناها مجموعة من الشيوخ والشخصيات البارزة، فنجد مثلا مصطفى كمال زعيم الشباب والتلميذ الروحي لجمال الدين الأفغاني حيث قام بنشر مبادئ الإصلاح، بالإضافة إلى عبد الرحمان الكواكبي (1849-1902م)، ورشيد رضا (1871-1946م)، وكذلك المحامي علي باشا حانبه والشيخ عبد العزيز الثعالبي، وهاتين الشخصيتين من المغرب العربي[2].

وقد تبناها كذلك السلطان عبد الحميد الثاني، وذلك من أجل الحفاظ على مجد الإمبراطورية العثمانية وضمان ولاء الايالات العربية خاصة المشرقية منها، حيث دعت الجامعة الإسلامية إلى العودة إلى الإسلام الصحيح، وإخراج العقول من التقليد والجمود وإلى وحدة المسلمين ومواجهة الاستبداد المحلي والاستعمار بمختلف أشكاله ؛ وقد وصل تأثير هذه الجامعة إلى الجزائر، فحملت النخبة راية الإصلاح على منوال هذه الجامعة، فنجد مثلا المولود بن موهوب و عبد الحليم بن سماية يعلنان أنهما من أنصار الجامعة الإسلامية كما حاول المثقفون الجزائريون تأسيس جامعة إسلامية جزائرية مثل الجامعة الإسلامية المشرقية، وجلب الإصلاح إلى الجزائر، لكنهم فشلوا في ذلك لعدة أسباب منها عدم توفر حرية التعبير ووسائلها مثل الصحافة، كما أن الجامعة الإسلامية الجزائرية لم تجد التأييد من أي دولة أوروبية لأنهم كانوا يعتقدون أن الجزائر جزء من فرنسا، كما أن فرنسا لم تصدر أية أفكار جديدة في الجزائر ولم تساعد على الاتصال بين الحضارتين، لذلك عانت الشخصية الجزائرية من الاضطهاد والحرمان من جميع وسائل التعبير التي تتيح للأفراد المطالبة بحقوقهم ؛ ومع أن عناصر النخبة الجزائرية فشلوا في تحقيق جامعة إسلامية جزائرية إلا أنها قدمت لهم

والنهوض باللغة العربية وإحيائها واحترام حقوق الشعوب وتحريرها من طغيان الحكام. وقد حاول الجمع بين تقاليد الإسلام والثقافة الغربية المعاصرة. للمزيد أنظر: مشال حداد، موسوعة تاريخ العالم في القرن العشرين، grep internnational، 1999، ص. 149.

[1] بلاح، المرجع السابق، ص. 117.

[2] سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 119.

تصورات وأفكار جديدة من خلال الكتب والمجلات الواردة، كما شجعت الجزائريين إلى الهجرة نحو المشرق العربي[1].

2- زيارة محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903م:

زار محمد عبده الجزائر وقسنطينة في سنة 1903م، وقد عبر من خلال زيارته عما كانت تعانيه الجزائر لعدم مواكبتها للتقدم الحضاري، كما تأسف واستاء من الحماس السياسي الذي كان يبديه الشبان الجزائريين، فقد كان يرى أن السياسة تدنس كل ما تلمسه وكان المسلمون الجزائريون في نظره ينقسمون إلى قسمين، إما محافظون متشددون للغاية وإما علمانيون يسعون لفصل الدين عن الدولة أي مسيّسون للغاية ؛ وما يجب الإشارة إليه هنا أنه كان لمحمد عبده أتباع في الجزائر من خلال ما كانوا يقرؤونه عنه في جريدة المنار. ولقد التقى من خلال زيارته هذه بالشيخ عبد الحليم بن سماية والتي سوف نشير إليها لاحقا، والتقى كذاك بإمام مسجد «سفير» الشيخ كمال محمد بن مصطفى المدعو بن خوجة صاحب مؤلف «عن التسامح الديني في الإسلام» ؛ وقد هاجم محمد عبده المرابطين الذين كانوا يعملون على إبقاء الناس في الجهل والأمية، وعزز في المقابل وضعية المصلحين الذين أرادوا النهوض بالمجتمع الجزائري، كما قدم مجموعة من الفتاوى كان موضوعها هو الابتعاد عن السياسة وعدم التعرض للحكومة الفرنسية[2].

وقد تركت هذه الزيارة تأثيرا كبيرا في نفوس النخبة الجزائرية المثقفة، وأحدثت حركية كبيرة فيهم وأدى ذلك إلى انقسامهم في التعبير عن توجيهاتهم حول هذه الزيارة وأهم مطالبها ؛ وبالتالي، شكلت النخبة الجزائرية ثلاث تيارات منفصلة عن بعضها البعض، فالتيار الأول تمثل في كتلة المحافظين الذين تجاوبوا مع ما دعى إليه الشيخ محمد عبده، أما التيار الثاني الذي مثله مجموعة من المؤمنين بالحداثة والذين كانوا أقرب من الشيخ محمد عبده، وفيما

---

[1] سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 119.

[2] شارل روبرت أجيرون، تاريخ الجزائر الحديث، تر. جمال فاطمي، ط.1، دار الامة، ج. 2، الجزائر، 2008م، ص. 200.

يخص التيار الثالث الذي ضم أعيان وشخصيات نخبوية ذات تكوين غربي حدث بينه وبين الشيخ عبده نقاشا ساخنا، إذ اعترض الإمام أحمد بن بريهمات على تخلي المتورطين عن شخصيتهم وهويتهم، و قام يحدثهم عن الإدماج الذي اعتبره الشيخ مستحيلا في ظل التنازل التام عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية الذي يميزهم عن الأوربيين[1].

3-الهجرة الجزائرية بشقيها:

قام الجزائريون بهجرة كبيرة بسبب ما عانوه في ظل الخضوع للاستعمار الفرنسي وكذلك حرمانهم من حقوقهم المدنية والسياسية، كما كانت هذه الهجرة مدفوعة كذلك بسبب القوانين الفرنسية الجائرة، وحرمانهم من وسائل التعبير وإرهاقهم بالضرائب حيث أنهم كانوا يدفعون الضرائب القانونية والدينية مثل زكاة العشور وضريبة السخرة كالحراسة الليلية بدون أجور[2].

وقد أحدثت هذه الهجرة تأثير كبير في نفوس الجزائريين بسبب ما وجدوه هناك فمثلا في المشرق العربي وجدوا حرية التعبير والعمل، كما اتصلوا بشخصيات مرموقة مثل محمد عبده وغيره من زعماء الإصلاح الذين أتاحوا لهم فرصة الهجوم على السياسة الاستعمارية الفرنسية من خلال نشر مقالاتهم في الصحف، وإلقاء المحاضرات في مختلف المناسبات[3].

كما تمكن المهاجرون الجزائريون في المشرق من الوصول إلى المؤتمرات والاجتماعات التي كانت تقام في فترة الحج، وبذلك تأثروا بالأفكار الإصلاحية المتداولة هناك، وبالتالي ساهم الحجاج الجزائريون في نقل مجموعة من الجرائد والمجلات إلى الجزائر، وهكذا مكنت الجزائريين خاصة المثقفين منهم على التعرف على الأفكار الإصلاحية

---

[1] خيثر، المرجع السابق، ص ص. 242-243.

[2] سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 120.

[3] ادريس خيضر، البحث في تاريخ الجزائر (1830-1962م)، ج. 1، دار المغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص. 203.

التي تحملها هذه الجرائد، محاولين تطبيقها كرد فعل عن السياسة الاستعمارية، ومن الأمثلة عن هذه الجرائد نجد مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وكانت تستهدف نهضة العرب المسلمين، حيث كان لهذه المجلة دور هام في حركة البعث العربي الإسلامي في العصر الحديث، فأيقظت الضمير الوطني في النفوس وعملت على توطيد الصلة بين المسلمين وفتحت عيون العرب على الخطر المشترك وهو الاستعمار الذي اكتساح العالم العربي وحوله إلى شرايين لتغذيه العالم الغربي بالمواد الخام والمنتجات الزراعية ؛ وإلى جانب العروة الوثقى، نجد جريدة "المنار" لصاحبها رشيد رضا التي وصلت هي الأخرى إلى الجزائر عن طريق الحجاج، فكان لها دور كبير في نشر الأفكار الإصلاحية والاجتماعية والدينية ؛ ونجد كذلك جريدة "اللواء" التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف في القاهرة، وكانت دعوتها مركزة على أساس الإصلاح وتصحيح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية[1].

أما هجرتهم إلى أوروبا، فمكنتهم من التعرف على وسائل كفاحية جديدة وعصرية لم يسبق لهم أن استعملوها في الجزائر مثل الصحافة المكتوبة ؛ وهكذا تعرف الجزائريون على أساليب جيدة في الكفاح استعملوها في حدود ضيقة، فعرفوا بذلك الصحافة المكتوبة، وأدركوا أهمية استعمال الصحافة في إبلاغ الصوت الجزائري للرأي العام الداخلي والخارجي في ظل معاناة الجزائريين من حملات الصحافة الفرنسية ومن تشويشها للحقائق إضافة إلي ذلك حرمان الجزائريين من التعليم، ومرارة غرس الأفكار الغربية في المجتمع الجزائري وتفتيته[2].

---

[1] رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954م)، أطروحة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م، ص ص. 5-15.

[2] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954م)، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2004م، ص. 92.

4-تأثير الظرف العربي الإسلامي:

هناك مجموعة من الأحداث وقعت في الدول العربية الإسلامية، ووصل صداها إلى المثقفين الجزائريين، وبالتالي أثرت فيهم وجعلتهم يبادرون إلى الإصلاح، ومن بين هذه الأحداث نذكر:

4-1. الثورة المهدية في السودان (1882-1899):

جاءت الثورة المهدية[1] نتيجة لتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وانتشار الفساد الإداري في السودان بسبب ما قام به كل من الخديوي إسماعيل والخديوي توفيق (1882-1892م)، لأن السودان كان يخضع للحكم المصري، وهذا ما أدى إلى اشتداد الضائقة الاقتصادية وانتشار الفساد، ووقوع أزمة اقتصادية واجتماعية ؛ كل هذا دفع بمحمد أحمد ابن عبد الله إلى القيام بثورة على الأوضاع السائدة، وتنشيط دعوة إسلامية حيث ارتكزت هذه الأخيرة على مجموعة من الأسس والمبادئ نذكر منها "التوحيد" حيث دعى إلى التوحيد والعودة إلى الإسلام الصحيح ومحاربة البدع والخرافات. وفيما يخص التوحيد رأى المهدي أن توزيع المسلمين على مذاهب وطرق دينية مختلفة يؤدي إلى إضعافهم، لذلك أكد على القرآن والسنة، كما دعى المهدي إلى تخليص السودان من الاستعمار الأجنبي، فقام بالثورة ضد السلطة الحاكمة وموظفيها الفاسدين بمقاس الإسلام الصحيح في سبيل الله[2].

ولعل الأسباب الحقيقية التي دفعت بالمهدي إلى الثورة يمكن حصرها في فساد الحكومة في السودان واعتمادها على الأتراك والأوروبيين الذين كانوا على جانب كبير من الظلم والقسوة وكذلك انتشار وسيلة الرشوة بين الموظفين، واحتكار الحكومة للكثير من السلع التجارية الهامة التي كانت عماد أساسي لتجارة السودانيين كالعاج، وريش النعام [3].

---

[1] الثورة المهدية في السودان (1882-1899م): نسبة محمد ابن عبد الله الذي ولد سنة 1843م قرب مدينة دنقلة، حفظ القرآن منذ صغره، وتلقي علوم النحو والفقه والتوحيد، ولما كبر لاحظ ما تعرضت إليه بلاده فحاول الإصلاح ملقبا نفسه بالمهدي. للمزيد أنظر: محمود شاكر، السودان، ط. 2، المكتب السوداني، بيروت، 1981م، ص. 35.

[2] جميل بيوض وآخرون، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، القاهرة، 1991م، ص. 152.

[3] محمد عبد الله عودة، تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية لنشر والتوزيع، عمان، 1989م، ص. 146.

واستمرت الثورة المهدية إلى غاية 1899م وتمكنت من تحرير الكثير من المواقع في السودان ابتداءً من السودان الغربي بعد استسلام حاكمه باشا النمساوي، وكذلك جبال النوبة التي كان يحكمها الحاكم هيكس باشا أعظم قادة الإمبراطورية البريطانية[1].

4-2. الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى:

تمكنت كل من فرنسا وإسبانيا من فرض الحماية على المغرب الأقصى في 27 نوفمبر 1912 من خلال توقيع اتفاقية مدريد التي تضم حوالي ثلاثين مادة، ألحق بها بروتوكول خاص بسكة حديد (فاس-طنجة) نص فيه على تسليم الخط إلى شركة موحدة تقوم بدراسة وإقامة الخط واستغلاله، ومن بين ما جاء في الاتفاقية أن تعترف فرنسا بنفوذ اسبانيا في المنطقة الشمالية من المغرب التي عرفت باسم "المنطقة الخلفية" كما تعترف كذلك بان من شان اسبانيا في منطقة نفوذها أن تسهر على طمأنينة البلاد وراحة سكانها وان تساعد الحكومة المغربية على إدخال إصلاحات ضرورية في المجالات الاقتصادية والإدارية والمالية والتشريعية والعسكرية[2].

كما حددت الاتفاقية مقر إقامة المندوب السامي الاسباني، وهي في "تطوان"، كما فصلت الاتفاقية بين المنطقة الفرنسية والإسبانية من حيث الضرائب والأمور المالية، وجعلت لإسبانيا حق تمثيل سكان المنطقة الشمالية في الخارج ؛ هذا في الوقت الذي حرصت فيه فرنسا على وحدة السلطة، فنصت على أن منطقة النفوذ الاسبانية تعتبر تحت السيادة المدنية والدينية لجلالة السلطان، وينوب عن جلالته فيها مندوب مفوض يسمى خليفة[3].

---

[1] شاكر، المرجع السابق، ص. 56.

[2] شوقي الجمل، تاريخ المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، الكتب المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص. 334.

[3] نفسه، ص. 335.

4-3. الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب 1911م:

بدأت النوايا الايطالية في احتلال ليبيا منذ أن سيطرت فرنسا على تونس عام 1881م، وكذلك منذ أن احتلت انجلترا مصر في عام 1882م، وذلك بسبب اعتبارها من نصيبها من الولايات العثمانية في شمال إفريقيا، فلجأت بذلك إلى كسب ود الدول الاستعمارية المنافسة لها مثل فرنسا وبريطانيا[1].

وهكذا تمكنت ايطاليا عام 1911م من بدء غزو ليبيا، ورغم مقاومة العثمانيين مع الليبيين لقوات ايطاليا، إلا أنهم فشلوا في رد العدوان ؛ وأمام هذا انسحبت القوات العثمانية من ليبيا، و بسطت ايطاليا بالتالي سيطرتها على ليبيا بشكل فعلي[2].

4-4. الانقلاب العثماني لعام 1908م:

ويمكننا كذلك ذكر الانقلاب العثماني الذي قامت به جمعية الاتحاد والترقي في حدود سنة 1908 م، حيث جددوا بذلك العمل بالدستور الذي أسسه مدحت باشا، والذي تضمن في محتواه شعارات الثورة الفرنسية والمتمثلة في مبادئ الحرية والإخاء، كما أن هذا الدستور كان يمثل نقلة نوعية من المقاومة وحافزا قويا على ظهور التنظيمات القومية العربية الأخرى. و في الواقع، كان هذا الحزب قد رسم هدفه والمتمثل في تحريك الدولة العثمانية والقضاء على نظام الخلافة، كما مهّد هذا الحزب إلى نشوء مجموعة من التنظيمات القومية التي اعتمدت على العمل السري أسلوبا لنضالها القومي، والتي سوف تستمر منذ سنة 1902م إلى غاية قيام الحرب العالمية الأولى ؛ وقد وصلت أصداء هذا الانقلاب إلى الدول العربية المستعمرة وعلى رأسها الجزائر، حيث كان له تأثير كبير على عناصرها المثقفة خاصة النخبة الفرنسة، فنجدها مثلا تحمل نفس التسمية المتمثلة في الشبان الجزائريين وتتخذ نفس الوسائل والأساليب لنشاطها والمطالبة بحقوقها[3].

---

[1] ناهد إبراهيم دسوقي، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م، ص. 259.

[2] عبد المجيد سمورا، تاريخ العرب المعاصر، المكتبة الجامعية، طرابلس، 2009م، ص ص. 121-122.

[3] هشام سوادي هشام، تاريخ العرب الحديث (1516-1918م)، دار الفكر، عمان، 2010م، ص. 272.

المبحث الثالث: العوامل الداخلية المساعدة على نشاط النخبة في مطلع القرن

هناك مجموعة من العوامل الداخلية التي كان لها دور كبير في تحريك وتنشيط النخبة الجزائرية، وهي لا تقل أهمية عن العوامل الخارجية، ويمكن حصرها في:

1- سياسة شارل جونار:

حكم شارل جونار (Charles Jonnart)[1] الجزائر في مطلع القرن العشرين ثلاث مرات، وعلى الرغم ما تميزت به سياسته من قمع إداري شديد والمتمثل خاصة في إنشاء المحاكم الرادعة عام 1901م عقب ثورة عين التركي[2]، وكذلك منشوره القمعي عام 1906م الخاصّ بقمع أية انتفاضة أو حركة احتجاجية من قبل الأهالي و الّذي أعطى صلاحيات غير مسبوقة للقوات الفرنسية لإخماد و قمع أي تحرّك أو احتجاج أهلي تحت مسمّى الإخلال بالأمن العامّ ؛ وفي نفس الإطار أصدر سنة 1908م قرار يقضي بمنح الحج[3] ؛ إلا أن هذا الأخير تبنى من جهة أخرى سياسة انفتاحية، إذ دعى الجزائريين إلى الانفتاح على حضارتهم العربية الإسلامية وإصلاح أحوالهم، وذلك من خلال احترام التقاليد الجزائرية والسماح بتعليم اللغة العربية في مختلف المدارس، وكذلك دعى إلى التخفيف من حدة الضرائب المفروضة على الجزائريين ؛ و دعى بالمقابل النخبة الجزائرية إلى نشر مختلف كتب التراث العربي الإسلامي، وتقليد أعيان الجزائر مناصب محترمة. وكذلك دعى إلى تشييد مجموعة من

---

[1] شارل جونار: هوشارل سليستين أوغست جونار ينحدر من عائلة بورجوازية بشمال فرنسا ولد في 27 دسيمبر 1857م، زوال دراسته في سانت أومير ثم تابعها في باريس بكلية الحقوق، وفي 22 ديسمبر 1881م عين في مكتب الحاكم العام في الجزائر وفي سبتمبر 1889 انتخب نائب بدائرة سانت أومير ؛ وفي سنة 1894م انتخب عضوا في مجلس الشيوخ، وتوفي في 30 سبتمبر 1927م. للمزيد أنظر: عبد العزيز شهبي، محاضرة بعنوان المورسيكية الجديدة، محاضرة ألقت بالبريد المركزي في إطار مؤتمر مكثف، الجزائر، 2009م، ص ص. 60-61.

[2] بلاح، المرجع السابق، ص. 118.

[3] عبد القادر خلفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، أطروحة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007م، ص. 8.

الهياكل على نمط العمارة العربية الإسلامية مثل جامعة الجزائر عام 1909م ومبنى البريد المركزي ومقر ولاية الجزائر[1].

وهكذا، أدت سياسة شارل جونار إلى بث النشاط في ميدان الصحافة العربية وبعث حركة نشر التراث والتأليف، و تشجيع التعليم في المدارس (العربية–الفرنسية)، وكذا دروس المساجد على يد مجموعة من الشيوخ[2] ؛ وكان يهدف من وراء هذه السياسة إلى جلب طبقة الجزائريين المثقفين إلى فرنسا وجعلهم أداة لبث رسالة فرنسا الحضارية وسط الأهالي الجزائريين[3].

2–حركة التعليم :

كان لحركة التعليم بشقيها العربي الإسلامي والفرنسي دور في تكوين جيل مثقف وواعي أصبح يحس بمعاناة الجزائريين في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وبالقهر الاستعماري المسلط عليه طوال أكثر من سبعين عاما ؛ فالزوايا والمساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية رغم مقاومة الإدارة الاستعمارية لها، فإنها حافظت على شعلة الثقافة العربية الإسلامية ولقنتها للأجيال، وكان نتاج ذلك ظهور جيل من الرواد المثقفين في مطلع القرن العشرين حملوا على عاتقهم لواء حفظ وحماية الوجه العربي الإسلامي لهذا البلد وأهلها، وقاوموا السياسة الفرنسية المناوئة لهم والتنصير الذي حاولت الإدارة الفرنسية تطبيقه لنسخ البلاد وأهلها وتاريخها وحضارتها، وخير مثال على ذلك الشيخ المولود بن الموهوب وعبد القادر المجاوي وغيرهم[4].

وكونت المدارس العربية الفرنسية التي أنشئت في الجزائر وقسنطينة وتلمسان جيل من ذوي الثقافة المزدوجة، شارك في رفع الوعي الفكري والثقافي والاجتماعي وحتى السياسي ؛

---

[1] بلاح، نفس المرجع السابق، ص. 119.

[2] أبو القاسم سعد الله، تأملات وأفكار رجاحية، ط. 2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص. 87.

[3] نفسه، ص. 85.

[4] يحي بوعزيز، الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص. 11.

كما كونت الثانويات والكليات الفرنسية بالجزائر هي الأخرى جيلاً من المثقفين لا يمكن إنكار دورهم في ميلاد النخبة الجزائرية، وخير مثال على ذلك نذكر الصادق دندان وعمر راسم[1].

3- قانون 1900م (قانون الاستقلالية المالية):

لقد خول هذا القانون للمعمّرين أن يديروا كل الشؤون المالية والاقتصادية الخاصة بمستعمرة الجزائر، كما أعطاهم قوة مراقبة الميزانية وشبكة الخطوط الحديدية والمواصلات والغاز والكهرباء، كما أذن لهم أن يشرفوا على الأشغال العامة ويطوروا موارد البلاد تحت وفوق الأرض ؛ هذا ما جعلهم يرهقون الأهالي الجزائريين بالضرائب، وأهملوا حاجاتهم الاقتصادية والاجتماعية، إذ وجهوا بذلك المصاريف إلى المشاريع التي تخدم مصالحهم، وبالتالي زادوا من معاناة الجزائريين وتخلفهم[2].

4- مرسوم 24 ديسمبر 1907م:

جدد هذا القانون العمل بقانون الأهالي الصادر بتاريخ 26 جوان1871م، والذي يجيز لسلطات الاحتلال معاقبة الجزائريين بما يشاؤون من عقوبات دون محاكمة، واعتقال من تشاء ومصادرة أملاك من تشاء أو أي شيء آخر من أنواع الردع والقمع والتجويع والتنكيل دون الإشارة إلى مبررات مثبتة[3].

5- قانون التجنيد الإجباري 1912م:

لقد طبقت فرنسا نظام التجنيد الإجباري على الجزائريين منذ عام 1912م، وذلك لحاجتها إلى قوات عسكرية جديدة بعدما أرسلت قواتها إلى المغرب الأقصى، وصدر هذا الأخير في حدود 3 فيفري 1912م، حيث حددت بموجبه فترة التجنيد بثلاث سنوات، لكل الشباب الجزائريين الذين بلغوا سن الرشد الثامن عشر. وقد عارض الجزائريون هذا القانون بشدة واعتبروه أمرا لا يهمهم لأنهم سوف يدافعون عن بلد ليست بلدهم ؛ لهذا طالبوا

---

(1) بوعزيز، المرجع السابق، ص. 12.

(2) عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر. أبوبكر النحال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009م، ص. 106.

(3) بشير كاشة الفرحي، مختصر وقائع وأحداث تاريخ الجزائر (1830-1962م)، م.و.ن.إ، الجزائر، 2007م، ص. 96.

بمكافأتهم ومنحهم أجورا على ذلك، كما نجد كذلك أن قانون التجنيد الإجباري يخالف المعتقدات التي نشأ عليها الأهالي الجزائريين، والفئة التي تعرض أصحابها إلى هذا القانون خاصة هي فئة الشباب الريفي بحجة تنفيذ تغييبهم على أراضيهم فترة طويلة، وقامت العائلات الجزائرية بتقديم تضحيات كبيرة من أجل تحرير أبنائهم وذلك من خلال بيعهم لممتلكاتهم، وبالمقابل لم تعارض النخبة الجزائرية هذا القانون وسوف نشير إلى هذه النقطة لاحقا[1].

6-السياسة الفرنسية اتجاه مقومات الشخصية الأهلية :

واصلت فرنسا سياستها التسلطية والمتمثلة في هدم مقومات الشعب الجزائري: اللغة العربية والدين الإسلامي[2]، حيث تمكنت من اختراق العديد من الزوايا والكتاتيب القرآنية وتجنيدها لخدمة أغراضها الاستيطانية ومنعها من القيام بأي مقاومة ؛ وعزلت كذلك الجزائر عن العالم الإسلامي، وما كان يعرفه من نشاط علمي وثقافي. هذا ما جعل العناصر النخبوية يتصدون أو على الأقلّ يحاولون التصدّي لهذه السياسة[3].

---

[1] دسوقي، المرجع السابق، ص. 40.

[2] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائريين الحديث، وزارة المجاهدين، ج. 4، الجزائر، 2009، ص. 120.

[3] محمد العربي ولد خليفة، الجزائر المفكرة والتاريخية، دار الأمة، الجزائر،2007م، ص. 236.

لقد توصّلنا في ختام الفصل الى مجموعة من النتائج، وهي:

أولا: أجمع جميع المؤرخين المتناولين لتاريخ ظهور النخبة على أنها تنقسم الى قسمين هما المحافظين والمفرنّسين.

ثانيا: كان هدف النخبة الجزائرية هدف واحد على الرغم من اختلاف وسائل التعبير.

ثالثا: جاءت النخبة الجزائرية نتيجة تكوين علمي فرنسي عربي.

رابعا: هناك عوامل داخلية وخارجية مختلفة أثرت في بروز النخبة الجزائرية.

الفصل الثانـي :

نشاط النخبة الجزائرية

في مطلع القرن العشرين

حاولنا في هذا الفصل جمع أهم نشطات النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين والتي تجسدت في مجموعة من المطالب السياسية و الاجتماعية المقدمة إلى السلطات الاستعمارية، ثم تناولنا أهم القنوات التي عبرت بواسطتها النخبة الجزائرية عن أهم مطالبها والتي تمثلت في الصحافة المكتوبة و النوادي و الجمعيات و العرائض و الوفود، و تكملة لذلك جمعنا فيما يلي ردود الفعل الفرنسية و موقفها من هذا النشاط فحاولت ترضية النخبة الفرنسية من خلال منحها بعض الحقوق و ذلك لتضمن لها الولاء خاصة و أن ذلك تزامن مع قيام الحرب العالمية الأولى، فحاولت فرنسا ترضيتها للتخلص منها أما كتلة المحافظين فلم تكن عائق أمام السلطات الفرنسية، و اتخذت ضدها موقف الحيطة و الحذر.

المبحث الأول: مطالب النخبة الجزائرية

بعدما زادت معاناة الأهالي الجزائريين، انطلقت نشاطات النخبة الجزائرية و لعل أهم نشاط قامت به هذه النخبة هو استقبالهم للجنة جول فيري 1892 وقدموا بذلك مجموعة من المطالب و التي تمثلت في معارضة التشريعات الاستثنائية غير عادة منها نذكر: إلغاء قانون الأهالي، و إصلاح القانون الغابي و إصلاح النظام الضرائبي، و المساواة في التمثيل بين الجزائريين و المعمرين، و المطالبة بالتعليم العربي الإسلامي، و تقديم ضمانات ملموسة ضد مصادرة الأراضي، و حماية الجزائريين من الربا، و حق ممارسة الوظائف في الإدارات و حرية الهجرة[1].

لكن نشاطاتهم زادت مع مطلع القرن العشرين بسبب صدور مراسيم منها المحاكم الزجرية سنة 1903م، إضافة إلى ما أصبح يعانيه المجتمع الجزائري من جهل و تخلف وهذه الوضعية عبر عنها محمد فريدريك أثناء زيارته إلى الجزائر في مطلع القرن العشرين فقال: "يعامل المسلمون في الجزائر بقوانين مخصوصة في غاية الشدة و الصرامة، فهم محرمون من حرية الكتابة و حرية الإبداع، و من حرية التعبير و حرية الانتقال، و حرية مطالعة الكتب و الجرائد إضافة إلى ذلك لا يجوز العربي أن يسافر خارج المركز الذي يقيم فيه إلا بإذن الشرطة الفرنسية و يبين لهم الوجهة التي يقصد الذهاب إليها و المدة التي يمكنه التغريب فيها عن قريته أو مدينته، و عليه أن يتوجه لمركز الجهة التي يقصدها بمجرد وصوله لكي يعلم على الجواز، و لو خالف ذلك عوقب بمعاقبة المخالفات"[2].

و بالتالي، انقسمت مطالب النخبة الجزائرية حسب توجهات كل فئة، و نبرزها كالآتي:

---

[1] محمد بلبل، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر و انعكاساتها على الجزائريين (1881م/1914)، دار سنجاق الدين للمطبوعات، الجزائر، 2012، ص 375.

[2] محمد فريدريك، "الحرية الشخصية في الجزائر"، في اللواء، ع 609، أكتوبر 1901م، القاهرة، ص 09.

1-النخبة المفرنسة:

وهم الذين تعلموا في المدارس الفرنسية وأصبحوا يحسون و يشعرون بانعدام المساواة بينهم و بين الفرنسيين في الحقوق الاجتماعية و الاقتصادية، فدعوا إلى تحسين أوضاع الجزائريين التي عنوها تحت قانون الأهالي (الأنديجينا)[1].

و تطلعت هذه النخبة إلى التمثيل السياسي في المجالس المنتخبة العليا في باريس (البرلمان و مجلس الشيوخ) أو في الجزائر (المجلس الأعلى للحكومة)، و بالقدر الذي سوف يرفع الظلم عن الأهالي الجزائريين في علاقتهم بالتشريعات الفرنسية، و بهذا وقفت على أن القوانين الفرنسية كما تصدر في باريس تساعد أكثر في توسيع الفجوة بين السكان الجزائريين المسلمين والمعمرين لأن هذه القوانين و التشريعات لا تطبق عليهم بالمساواة بل أكدت التجربة التاريخية خاصة بعد صدور مرسوم 10 سبتمبر 1874م الذي كان ينظم تمثيل الأهالي في المجالس البلدية، فإنه يتوجه بذلك إلى تكريس المواطنة الفرنسية و حقوقها، تأيد الحالة الذي يتواجد عليها الأهالي الجزائريين[2].

و بهذا طالبوا بالعدل السياسي من حيث المشاركة في الانتخابات، و تخفيف القيود على الجزائريين و تحسين أحوالهم، و كذلك منح الجنسية الفرنسية[3].

إضافة إلى توسيع حق الانتخاب ليشمل المثقفين و التجار و الصناع الذين يدفعون الضرائب، و منح الأهالي الأعضاء في المجالس البلدية حق انتخاب رئيس البلدية و نائبه الأهلي، كما طالبوا بانتخاب المستشارين العاملين ليحلوا محل المساعدين المعينين، كما طالبوا في سنة 1901 من فرنسا أن تمنح لهم الحقوق الأساسية لكل إنسان و ليس لكل

---

[1] عمامرة، المرجع السابق، ص. 95.

[2] نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، ط. 1، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، 2005، ص. 15.

[3] محمد مورو، الجزائر تعود إلى محمد، المختار الإسلامي للنشر و التوزيع، القاهرة، 1992، ص. 93.

فرنسي و من جملتها حق انتخاب السادة النواب، و ختموا مطالبهم قائلين: "إن الشعب العربي بحاجة إلى الرعاية و العطف من طرف الأمة الفرنسية لتحسين ظروف معيشته اليائسة"[1].

و عندما صدر مرسوم 17 جويلية 1908م، و فيه تم إعداد القوائم للشبان الجزائريين البالغين سن 18 سنة قصد تجنيدهم في الجيش الفرنسي، عارض عناصر النخبة ذلك و اتجهوا إلى باريس سعيا منهم إلى الحصول على بعض الحقوق السياسية ؛ و ترأس الوفد المحامي بوضربة، حيث طالب هذا الأخير حقوق أولية كشرط للخدمة العسكرية، فرد عليه كليمانصو أنه مستعد لدراسة إمكانية توسيع مجال هذه الحقوق دون السعي وراء فكرة إدماج العرق العربي في المؤسسات الفرنسية نظرا لتعذر إدماج العادات و التقاليد العربية ضمن المؤسسات الغربية، كما كان لهذا الوفد مداخلة بقيادة علي فكار في أشغال مؤتمر إفريقيا الشمالية، هذا ما جعل الحاكم العام جونار يقدم لرئيس الحكومة في 10 ديسمبر 1908م برنامجا يتعلق بإشراك الأهالي في الحياة الفرنسية العامة و تلطيف نظام الإقصاء الذي يخضعون له[2].

كما طالبوا بإلغاء المحاكم الاستثنائية و قانون الأنديجينا و المساواة في توزيع أعباء الضرائب بالعدل و المعاملة الإدارية المنصفة، كما دعوا إلى الارتقاء بكل من ساهم في الخدمة العسكرية بصفته مواطن فرنسي، و طالبوا تكملة لما سبق بتوسيع التعليم و نزاهته و فتح مختلف المجالات أمام الأهالي الجزائريين و نددوا بإلغاء القوانين الاستثنائية و المحاكم الردعية و الإجراءات القمعية و توزيع متساوي في الميزانية كافة سكان الجزائر[3].

و أصدرت فرنسا قانون التجنيد الإجباري في 3 فيفري 1912م و نشرته في الجريدة الرسمية المبشر يوم السبت 2 مارس 1912م، و احتوى على ثلاثين بند مقسمة إلى ثلاثة

---

[1] شارل روبيرت أجيرون، الجزائريون المسلمون و فرنسا (1871-1919)، تر. حاج مسعود بلعربيي، دار الرائد للكتاب، ج .2، الجزائر، 2007، ص. 716.

[2] نفسه، ص. 715.

[3] بلاح، المرجع السابق، ص ص. 118-119.

أقسام، فالقسم الأول خاص بالأحكام العامة لتجنيد بصيغة الانضمام الإداري و إعادة الانضمام، و القسم الثاني تم فيه التأكيد على الأحكام الواردة في القسم الأول و القسم الثالث هو المهم و يشمل ثلاثة عشر بند تحتوي على الأحكام العامة و الإحصاء السنوي للشباب البالغين سن الثامنة عشر[1].

هذا ما احدث قلق لدى عناصر هذه النخبة، و بعثوا بوفد[2] إلى باريس يحمل عريضة([3]) يوم 18 جوان 1912م و ذلك لمقابلة رئيس الحكومة بوانكري (Poincaré) وقدموا له عريضة مطالبين فيها بمجموعة من الحقوق السياسية، و أمام هذا يقبل المسلمين الانخراط في الجيش الفرنسي ؛ و هذا ما وضح أن عناصر النخبة لم ترفض قانون التجنيد الإجباري، بل اشترطت مجموعة من الحقوق مقابل تأديته[4].

طالبت هذه النخبة من فرنسا تنفيذ ما كتبته على الورق بخصوص الجزائر خاصة و أن فرنسا أعلنت أن الجزائر مقاطعة فرنسية خاصة في ظل الجمهورية الفرنسية الثالثة و التي دعت إلى إدماج الجزائريين في فرنسا، كما اشترطوا على فرنسا إلغاء قانون سانتوس كونسلت (Senatus consult) الذي صدر في 1865م ؛ و قد طالبوا بتعليم اللغة الفرنسية و رفضوا الحجة أن الجزائريين غير قابلين للتعلم و كذبوا الادعاء القائل أن الجزائريين كانوا أعداء المدرسة، مبررين أن التجربة أظهرت أن الفرق بين الطلبة الفرنسيين و الطلبة الجزائريين، كما أظهر جماعة النخبة بأن الحضارة الإسلامية التي ينتمي إليها الجزائريون تكن إحراما عاليا للتقدم الأخلاقي و الإنساني لذلك قدموا مجموعة من الاقتراحات و المتمثلة في وضع برنامج خاص للتعليم الجماهيري الجزائر و جعلها موضع التنفيذ، و كذلك إصلاح المدارس (الجزائرية–الفرنسية) التي أصبحت مثل الأديرة (مونستاري)، و هي خاصة بالتعليم

---

[1] مسعودة بلمسعي، التجنيد الإجباري الفرنسي و أثاره على الجزائريين، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012–2013، ص. 26.

[2] أنظر الملحق رقم 1.

[3] أنظر نص العريضة في الملحق رقم 2.

[4] بحوش، المرجع السابق، ص. 206.

الأوربي في العصور الوسطى، و نشر التعليم الفرنسي و الثقافة الأوربية لتطوير المجتمع الجزائري[1].

كما طالبوا من شباب الجزائر أن يحافظوا على التقاليد القومية و يفهموا أن التقاليد قد تكون سيئة و قد تكون جيدة، و أن يفتحوا عيونهم لأن الوقت قد حان لاستعادة المسؤولية، و أن يذهبوا إلى المدارس الفرنسية و التي كانت متوفرة في المدن و مفقودة في الأرياف، و تهتم إلى الحفاظ على المال و صرفه فيما هو جيد[2].

و نادوا بإصلاح حال الفلاح الجزائري، ذلك أنهم اصطدموا بالحقيقة و هي أن الفلاح قد بقي جاهلا بماضيه المجيد و دينه العظيم و تعدى ذلك إلى جهله بفكرة الوطن أيضا بسبب سياسية البلديات المختلفة و استغلال المعمرين له، حيث أن معظم جماعة النخبة يعتقدون أن الفلاح كان مضطهدا و أن أحواله قد بقيت كما وجدته عليها فرنسا، كما دعوا إلى إصلاح المجتمع عن طريق مضاعفة الجمعيات الخيرية، و المساعدات الطبية و العناية بالكبار و إلغاء نظام الخماسة، كما دعوا السلطات الفرنسية إلى فتح باب الهجرة إلى فرنسا و رأوا أن الهجرة إلى فرنسا لها فوائد عديدة كونها ترفع من حالة الجزائريين المعنوية من خلال الاتصال بالآخرين و التعرف على المجتمعات مختلفة، كما أنها تضاعف من تصوراتهم و تجاربهم التي قد يجدونها مفيدة حينما يعدون إلى بلادهم، كما تصلح من حالتهم المادية و أحوال عائلتهم في الجزائر لأن الأجور في فرنسا أعلى منها في الجزائر، كما تعطي لفرنسا فرصة تطوير اقتصادهم من خلال توفير اليد العاملة الرخيصة[3].

و قد هاجموا جماعة المحافظين و اتهموهم بمعاداة الوطنية و معارضة التقدم الإسلامي الصحيح، لأن الإسلام الحقيقي يدعو إلى التطور و الرقي، وقد أطلقوا عليهم بعض الأسماء القدحية مثل حصون الإجحاف، البرجوازية المتعجرفة، المتعصبين، و التي

---

[1] سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 126.

[2] نفسه، ص ص. 163-170.

[3] نفسه، ص. 171.

ليس لأعضائها أية قيمة سوى كونهم أدوات زينة في المنزهات و الأماكن العامة، و قد اتهموهم كذلك بإعلان ثورة 1871م تحت راية الدين، و كذلك أولاد بلاد كسولون معفنون، و هاجموا كذلك المعمرين و اعتبروهم عنصريين و مستبدين كونهم اضطهدوا الأغلبية الجزائرية و حصولهم على أراضي فلاحية عن طريق سلطة الإدارة و البلديات المختلطة، و اتهموهم بزرع الحقد بين الجزائريين و الفرنسيين، و قد قبلوا مبدأ التجنيس الإجباري بالجنسية الفرنسية و الدخول تحت القانون الفرنسي و رأوا أن الدين قضية ضمير شخصي، و ليس قانون ينظم حياة المسلم[1]. كما دعوا إلى تحقيق الجامعة الإسلامية، و ذلك لتأثرهم بما كان يحدث في المشرق العربي[2].

و قام عناصر هذه النخبة بتقديم نشاط واسع في الميدان السياسي و الثقافي خاصة في المدن الكبرى حيث كانوا يختلطون بالمفكرين الفرنسيين و يدافعون عن شعارات الثورة الفرنسية، و يطالبون بالحد من سلطة المستوطنين ؛ و في سنة 1913م تمكن عناصر هذه النخبة من التحالف مع شخصية مرموقة و هي شخصية الأمير خالد[3]، و قرروا في 2 أفريل 1914م تشكيل "الاتحاد الفرنسي الأهلي" و الذي كان القصد منه إقامة تعاون بين العرب و الفرنسيين، و كان هدفه كذلك إحراز مكاسب سياسية و اقتصادية لصالح الجزائر عموما[4]، و عليه كانت مطالبهم جد بسيطة و تمثلت في تحقيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين[5].

---

[1] سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص 172.

[2] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، م.ع.ف، المغرب، 2003، ص. 11.

[3] الأمير خالد: هو الأمير خالد ابن الهاشمي ابن الحاج عبد القادر ولد في حدود 20 أفريل 1875م بدمشق دخل الجزائر مع والده في حدود سنة 1892، للمزيد أنظر: عبد الوهاب خليفة، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط. 1، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013، ص. 137.

[4] صفصاف، المرجع السابق، ص. 172.

[5] يحى بوعزيز، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر، دار الهدى، ج. 2، الجزائر، 2004، ص. 11.

و كذلك محاولة الارتقاء إلى الوظائف العمومية و تنمية المدارس، و التمثيل البرلماني، و ذلك في اعتقادهم أن شعب غير ممثل لا يتم الدفاع عنه[1].

و كان أكبر دور قامت به هذه النخبة يعود إلى سنة 1912م، على إثر قانون التجنيد الإجباري، حيث تحرّكوا رافعين مجموعة من المطالب مقابل أداء الخدمة العسكرية[2].

2-النخبة المحافظة:

لقد دشن هذه المطالب مجموعة من المحافظين و منهم نذكر الشيخ عبد القادر المجاوي و حمدان لونيسي، و الشيخ عبد الحليم بن سماية، حيث دعوا إلى مناهضة التجنيس الإسلامي و دعوا إلى العمل بمبادئ الشريعة الإسلامية في ما يخص شؤون المسلمين لاسيما الأحوال الشخصية، و دعوا إلى ضرورة احترام العادات و التقاليد خاصة بالمجتمع الجزائري و التي كان موجود عليها قبل مجيء الاحتلال الفرنسي، كما دعوا إلى ضرورة إلغاء قانون التجنيد الإجباري العسكري المفروض على أبناء الأهالي الجزائريين لكونه وضع على أساس عنصري واضح يجعل أبناء الجزائر يشاركون في حرب لا تعنيهم بدون أي فائدة تجنى من هذا التجنيد[3].

و دعوا كذلك إلى تعميم و تطوير اللغة العربية، و قد بلوروا قومية لغوية حقيقية واعتبروا اللغة العربية لغة القرآن، و حاولوا فرض ثقافة واحدة على كامل البلاد، فخطاباتهم كانت تتجاهل الثقافات الشعبية، و ذلك للحفاظ على اللغة العربية في الأوساط المحلية، فاللغة العربية عندهم ليس أداة لنشر المعرفة فقط، بل هي دعامة الدين الذي يجب أن يكون له التأثير الأعمق على الأفكار ؛ فتجديد اللغة العربية لا يهدف إلى وضعها في مستوى المزاحمة مع اللغة الفرنسية بل جعلها أداة أمام التأثيرات الأجنبية. و اعتقدوا أن الجزائر ستعود إلى الوجود لا عن طريق العمل السياسي، و إنما بواسطة الأفكار الإصلاحية الدينية

---

(1) محفوظ قداش، الجزائر الجزائريين، تر. المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008، ص. 237.

(2) حليم ميشال حداد، موسوعة قصة و تاريخ الحضارات (تونس و الجزائر)، دار كراكدة، الجزائر، ص. 134.

(3) الفرحي، المرجع السابق، ص. 103.

التي هي وحدها قادرة على منع احتواء الأهالي الجزائريين، و اندماجهم في المجتمع الاستعماري، و أكدوا على الانتماء إلى الأمة بمفهومها الإسلامي و نفي الانتماء الطبقي[1].

كما دعوا الشعب الجزائري إلى التمسك بالدين الإسلامي، فهو في نظرهم القوة الوحيدة القادرة على توحيد مختلف عناصر المجتمع، فالقومية غير قادرة على ذلك بل العكس فهي سبب من أسباب الانشقاق مختلف عناصر المجتمع، و اعتبروا الإسلام أنه الدين الذي يحافظ على المجتمع الجزائري، و دعوا إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة و عدم تدخل السلطات الفرنسية فيه، و عملوا على تشجيع كبار التجار و حثهم على إدخال مفاهيم وأساليب النظام الرأسمالي في نشاطاتهم الاقتصادية، و عملوا كذلك على محاربة الطرق الصوفية[2] و التي كانت متواطئة مع الاستعمار الفرنسي[3].

ودعوا إلى ضرورة تحقيق المساواة فيما يخص التمثيل النيابي و الضرائب والاستفادة من الميزانية مناصفة بين الجزائريين و المستوطنين، و تجنب استعمال العنف ؛ كما دعوا إلى تحقيق الجامعة الإسلامية في الجزائر و إعطاء الجزائريين حرية الهجرة[4].

و قد قدموا للسلطات الفرنسية قائمة شاملة لمختلف المطالب و التي قدمت إلّى رئيس الجمهورية الفرنسية لوبيه (Loubet) في أفريل 1903م، و هي عبارة عن مطالب غير متجانسة، فنجد مثلا: المطالبة بوسائل ناجعة للحفاظ على ملكية الأهالي، و التخلي عن نزع الملكية و فتح المجال الغابات لرعي الماشية و تعديل قانون الغابات، و التخلي عن تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية فيما يخص حرائق الغابات ؛ و بالإضافة إلى ذلك، تتفق جميع هذه المطالب على ضرورة التخفيف من وطأة الضرائب و وجوب توزيعها بالعدل و الإنصاف

---

[1] محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر. نجيب عياد و صالح المثلوثي، موقع النشر، الجزائر، 2006م، ص ص. 121-122.

[2] الطرق الصوفية: هي تلك الطرق التي شوهت تعاليم الإسلام بسبب قضائها على أهم قنوات و مصادر شرعية لنشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، و منها نذكر الطريقة القادرية، البكداشية، الرفاعية، للمزيد أنظر: أحمد عبد الكريم نجيب، الطرق الصوفية و انتشار البدع و الخرافات ؛ و موقع www.pdictroy.com ، بتاريخ 25 جانفي 2017.

[3] حربي، المصدر السابق، ص. 122.

[4] ملاح، المرجع السابق، ص. 120.

وإعادة الصلاحيات للقضاة الجزائريين، كما طالبوا بأحقية المستشارين في البلديات أن ينتخبوا رؤساء البلديات بناءا على مرسوم 1866م، و إلغاء المحاكم الخاصة، و جعل اللغة العربية برتبة اللغة الفرنسية و دعوا إلى ضرورة قبول الشباب الجزائري في المدارس العليا، و قد استعانوا في تحرير هذه المطالب بأحد المتعلمين العصريين حيث قالوا: "بفضل العلم سيتمكن الأهلي المتعلم من محاربة الظلم" [1].

بالإضافة إلى هذه المطالب، قام المحافظون بنشاط واسع في عملية التدريس في مختلف مساجد مدينة الجزائر[2] ؛ و هذا راجع إلى سياسة شارل جونار الذي سمح لهم بالتدريس في مختلف هذه المساجد[3].

إضافة إلى التدريس، عملت كتلة المحافظين على التأليف و إحياء التراث الإسلامي العربي، فمثلا نجد الشيخ عبد القادر المجاوي ألف كتابا دعى فيه إلى الإصلاح الاجتماعي بنقده للتقليد الأعمى ونبذ الركود وضرورة اليقظة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة؛ ولقد علقت جريدة المبشر على هذا الكتاب بالعربية و حللت أفكار مؤلفه و اعتبرته بذلك كتاب مفيد. و قد أصدر المجاوي كتابا آخر في شتى الموضوعات عالج فيها بعض الجوانب الاجتماعية و الإصلاحية، كما كان الشيخ كثير الاطلاع مثقفا باللغتين العربية و الفرنسية حيث تصدر التدريس في مدرستي قسنطينة و الثعالبية، و أطلقوا عليه كذلك اسم "شيخ الجماعة"[4].

كما تمكن الشيخ قدور بن مراد التركي الردوسي من تأسيس المكتبة الثعالبية في سنة 1896 التي احتوت على عدد هائل من الكتب الدينية و التاريخية، و كذلك كتب التفسير و الفقه[5].

---

[1] أجرون، المرجع السابق، ص. 701.

[2] أنظر الملحق رقم 3.

[3] سعد الله، تأملات ...، المرجع السابق، ص 80.

[4] سعد الله، تأملات ....، نفس المرجع السابق، ص 84.

[5] سعد الدين بن أبي شنب، "النهضة العربية في الجزائر"، في: مجلة كلية الآداب، العدد 1، الجزائر، 1964، ص. 41.

وما لوحظ على هذه الكتلة أنهم اقتنعوا بفكرة أن الجزائر لا تستطيع هزم فرنسا وحدها لذلك دعوا إلى الإبقاء عل الشخصية الجزائرية و مقاومة كل خطط الاستعمار الفرنسي التي كانت تهدف إلى إذابة الجزائر، أي أنهم كانوا متحمسين للوطنية بشكلها القديم كما أن مطالبهم كانت غير معقدة[1].

كما حاول بعض المحافظين الذين هاجروا إلى المشرق بعث جرائد تحتوي مضامين تعبّر عن الوفاء للعقيدة و الثقافة الإسلامية و تبني العلوم و التقنيات العصرية الجديدة، لكنهم لم ينجحوا في ذلك بصفة كاملة[2].

ومن خلال نشاط النخبة الجزائرية و مطالبها، اتضح بأنها قامت بدور وطني هام لأنها ثارت ضد الواقع السائد رغم وجود مجموعة من العراقيل منها طبيعة المجتمع الجزائري وسوء التفاهم وإجحاف المعمرين و سياسة الإدارة الفرنسية الاضطهادية كما استطاعوا خلق ضمير وطني جديد و طريقة جديدة للمقاومة[3].

واستطاعت هذه النخبة أن تكسر الاعتقاد الفرنسي المتمثل في أن فرنسا لم تكن تنوي خلق جماعة نخبة جزائرية، فعندما سمحت العناصر الجزائرية بالتعليم في المدارس الفرنسية، تأثروا بالأفكار القومية في ظل فشلهم في الحصول على حقوقهم، و لأنها فشلت في كسب كتلة المحافظين من خلال المعاهدات و الاتفاقيات التي اعتمدت عليها، فإنهم هم الذين كونوا غالبية أفراد النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين و قاموا بمطالبة فرنسا بمجموعة من الحقوق[4].

إلا أن النخبة الجزائرية لم تستطع تحقيق نتائج إيجابية في هذه المرحلة لعدة أسباب، فمثلا النخبة المفرنسة لم تستطع تحريك الجزائريين، بل قامت بحملات سياسية للحصول

---

(1) بلعباس، المرجع السابق، ص. 14.

(2) قداش، المرجع السابق، ص. 238.

(3) سعد الله، تاريخ الحركة...، ج. 2، المرجع السابق، ص. 172.

(4) نفسه، ص. 180.

على حقوق سياسية و اجتماعية فقط، و لم تعبر عن واقع المجتمع الجزائري، إضافة أنه لم تكن لديها منظمة فعالة و قيادة قديرة، هذا ما جعلهم يعانون من نقص كبير ؛ أما كتلة المحافظين، فكانت نشاطاتهم محصورة في التعليم و تحقيق التراث و عدم معارضة الاستعمار بشكل كبير[1].

[1] بحوش، المرجع السابق، ص. 206.

المبحث الثاني: وسائل التعبير عند النخبة الجزائرية

لقد لجأت النخبة الجزائرية للتعبير عن نشاطاتها إلى ثلاث قنوات رئيسية و هي: الصحافة المكتوبة، الجمعيات و النوادي، العرائض و الوفود، و التي سنوضحها فيما يلي:

1-الصحافة المكتوبة:

تحتل الصحافة المكتوبة مكانة هامة في الأوساط الجزائرية خاصة النخبة منه، فقد عبر عنها العلامة الشيخ ابن باديس قائلا: "لا أدل على رقي أي أمة المادي و الأدبي من صحافتها، بوفرة عددها، بعدد مشتركيها، بعدد ما بطبع منها إلى تنوع مشاريعها إلى بلاغات عباراتها و سمو مواضعها، هذه أمور يعلمها من الصحافة من قرب و من بعد من مركزها و ثم أمر آخر ليس دون هذه في الدلالة و لا يعرفه إلا من حل بمراكز تلك الصحف و خصوصا في عواصم أممها، و ذلك هو بناياتها و إدارتها حق إن ما رأيته من كبريات الصحف بباريس، و فروع إدارتها و إتقان نظمها و ضخامة أثاثها و فراشها شيء يماثل إدارة دولة و نظام مملكة"[1].

و بذلك قامت النخبة الجزائرية بتأسيس مجموعة من الصحف و منها نذكر أولا جريدة الفاروق التي أسسها عمر بن قدور[2]، و هي أول جريدة جزائرية ترتقي إلى صنف الجرائد العربية ؛ و قد اهتمت بقضايا المسلمين الجزائريين و حللت واقعهم المر، و ركزت بصورة خاصة على أحداث تركيا العثمانية ناصحة و محللة لأوضاع المسلمين السائدة في ذلك

---

[1] عبد الحميد بن باديس، "الصحافة مرآة الأمم "، في: الشهاب، ع.د 70، 2000م، بيروت، ص. 565.

[2] عمر بن قدور: ولد بالعلمة حوالي 1886م أثناء مرحلة جدباء من حياة الجزائر، و هي تمثل مرحلة حكم لويس تريمان المحابي المستوطنين و الظالم للجزائريين، نشأ و تعلم بالمدرسة الثعالبية التي لم يستمر بها طويلا، و قد رحل إلى تونس و تعلم بجامع الزيتونة، ثم إلى مصر لمتابعة دراسته باللغة العربة، و هو ما أهله لكي يكون من رواد الصحافة العربية في الجزائر، و قد عرف باتجاه الإصلاحي و عمل بالصحافة و اهتم بالقضايا الإصلاحية التي تهم المسلمين، و نشر عدة مقالات مثل ما نشره في اللواء و المؤيد، و كذلك جريدة التقدم و مرشد الأمة في تونس، ثم أصبح يراسل جريدة الحضارة التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد الزهراوي، للمزيد أنظر: عبد المجيد بن نعيمة و آخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830-1954)، ط.خ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص. 252.

الوقت، و قد تأثر مؤسسها بالشيخ محمد عبده و مجلة المنار لرشيد رضا الذي أراد أن قلده في مقاومته البدع و الخرافات، و قد اختار لها اسم الفاروق لكي تفرق بين الحق و الباطل و آمرة بالمعروف و ناهية عن المنكر، و قد دعت إلى تكوين جمعية باسم التعارف الإسلامي بالمغرب العربي، كما اهتمت بواقع المجتمع الجزائري فقاومت البدع و المنكرات التي كانت تدعو لها الطرق الصوفية، و دعت إلى الرجوع إلى الدين و أحكامه الصافية[1].

و قد وضع عمر بن قدور شعار لهذه الجريدة و هو كالآتي:

قلمي لسان ثلاث بفوائدي ديني و وجداني و حب لبلدي

و بعد صدور منها حوالي 95 عدد منعتها السلطات الفرنسية من الصدور بسبب جرأة مقالاتها[2]. و كان صدورها في حوالي سنة 1912، و كانت منبر لكثير من الكتاب الجزائريين، و قد أورد عمر بن قدور فيها مقالا سنة 1914 و عنوانه القرآن الكريم[3].

و قد تميز عمر بن قدور بأسلوبه العنيف و شجاعته في مقالاته الصحفية فقال: "كيف يكون المسلم مسلم، و خلت مساجده من الراكعين الساجدين، و امتلأت شوارعه باللصوص و الفجار و الساكرين، كيف يكون المسلم مسلم في بلد ظهر فيه حب النفس و عبادة المال و الانسلاخ من الدين و التظاهر بالفواحش و تقليد الكافرين، كيف يكون المسلم مسلم في بلد انتشر فيه الربا و السلب و النهب، و قويت فيه عوامل الجفاء و بات الكل يترقب إفلاس أخيه ساعيا في تنقيص قدره و فضله، بل أعان اليهودي عليه لاشك و أن السلطة تنعدم في أمة تبادلت مع حيواناتها الأخلاق فلا يكون لوفاء العهد و هو الخلق العظيم مظهر إلا في كلابه، و لا يوجد للاعتماد على النفس إلا في وحوشها الضارية"[4].

---

[1] صفصاف، المرجع السابق، ص. 140.

[2] نفسه، ص. 141.

[3] المدني، المصدر السابق، ص. 458.

[4] العلوي، المرجع السابق، ص. 96.

ومن بين الصحف كذلك، نذكر جريدة الحق، و هي جريدة أسبوعية كانت تصدر بالفرنسية بمدينة وهران، ثم أصبحت تصدر بالعربية و الفرنسية معا، و كان مؤسسها مسلما متحمسا للدفاع عن الإسلام أكثر من المسلمين أنفسهم، و كان عنوانها يحمل شعار لنابليون الثالث وهو "إني أريد منكم أن تشاركوا شيئا فشيئا في إدارة وطنكم" ؛ و قد ركزت مقالاتها على ثلاث موضوعات و تمثلت في الوقوف ضد سياسة التجنيد الإجباري بتعريض الأهالي على رفضه و مقاومته، و منع السلطات الفرنسية من تطبيقه، إضافة إلى مقامة المسحيين والمبشرين وأعمالهم التي كانت ضد الإسلام والدعوة إلى التمس بالشخصية الجزائرية، كما قامت هذه الجريدة بتنظيم حملة لدعم العثمانيين أثناء الحرب بين ليبيا وايطاليا، و قد أوقفتها السلطات الفرنسية بعد صدور منها حوالي ستة و أربعون عدد[1].

كما نذكر كذلك جريدة الهلال التي اتخذوها عناصر النخبة منبر لمقلاتهم الناقدة للسياسة الاستعمارية وكان يصدرها الفرنسي "فيلير" وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية و ثلاث مرات في كل شهر و حملت شعار "صحيفة مطالب الأهالي الشرعية" ومن بين المحررين الجزائريين الذين عملوا بها نذكر عمر بن قدور، محمد بريزت وكانت حياتها قصيرة حيث لم تنشط إلا حوالي ستة أشهر أي ما بين أكتوبر 1906 و مارس 1907[2].

ولنا نموذج آخر عن الصحافة المكتوبة في الجزائر وهي جريدة الإسلام والتي أسسها الصادق دندان باللغتين العربية و الفرنسية و تأسست بالضبط في سنة 1912م حيث عرف صاحبها بحماسته للقضايا الوطنية مثل الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين[3].

كما يمكن ذكر صحيفة المغرب، و التي كانت تصدر باللغتين العربية و الفرنسية ويديرها بيار فونتانا و هو صاحب المطبعة الشهيرة التي عرفت باسمه، و تأسست في سنة 1909م، و لقد كانت محل دراسة من طرف المؤرخين الجزائريين فمثلا نجد محمد ناصر

---

(1) صفصاف، المرجع السابق، ص. 141.

(2) نفسه، ص. 142.

(3) خيثر، المرجع السابق، ص. 234.

يعبر عنها بأنها كانت جريدة منحازة للإدارة الاستعمارية على الرغم من تظاهرها بالدفاع عن حقوق و مطالب الجزائريين، أما سعد الله فيعبر عنها بأنها كانت صحيفة إصلاحية إسلامية بلسان عربي[1].

إضافة لذلك، نذكر صحيفة المصباح و التي تأسست في وهران سنة 1904 و أسسها كل من علي و العربي فخار ؛ و هي جريدة أسبوعية مزدوجة اللغة جعلت شعارها "من أجل العرب بواسطة فرنسا و من أجل فرنسا بواسطة العرب"، بمعنى أنها تريد تحقيق فكرة الإدماج غير أنها لم تعمر كثيرا بسبب ضعف الإقبال عليها[2].

وتوجد كذلك جريدة الراشدي التي أنشأها الشبان الجزائريين سنة 1911، و كانت تصدر بمدينة جيجل كما اعتبرت جريدة الاتحاد المغربي، و كان يديرها شخص اسمه نصيح ثم خلفه الحاج عمار حمو، و هي كذلك جريدة أهلية تدافع عن مصالح أهالي جيجل سرعان ما اتسعت دائرة اهتمامها لتصبح تدافع عن مصالح المجتمع الأهلي بصور عامة ويظهر هذا من برنامجها الذي نشر في العدد الأول حيث جاء فيه "ليس الهدف إخراج هذه الورقة هو الثورة ضد الوجود الفرنسي، أو مواجهة الإدارة الفرنسية لكن من أجل تقديم الملاحظات و النصائح للحكام العاميين، حيث تكون بمثابة المستشار إلى الحق، كما تريد الوصول إلى تطبيق شعار الثورة الفرنسية و المتمثل في "الحرية و الإخاء و المساواة" بين كل عناصر المجتمع الجزائري"، و من هنا فإن الراشدي مثل قرينتها الإسلام في اهتماماتها بالقضايا الهامة لدى الشبان الجزائريين مثل قضية التعليم و التمثيل النيابي و الدعوة إلى إلغاء القوانين الاضطهادية و في مقدمتها قانون الأهالي البغيض، و ما تميزت به جريدة الراشدي أنها كانت قوية في لغتها و طرحها للمشاكل الجزائرية، لذلك كانت تجد إقبالا عند القراء لاسيما من الجزائريين و نتيجة لذلك حذر بعض الفرنسيين السلطات الفرنسية من خطورة الأفكار السياسية التي كانت تنشرها في الأوساط الجزائرية باعتبارها أفكار معادية لفرنسا كما

---

[1] خير، المرجع السابق، ص. 235.

[2] صفصاف، المرجع السابق، ص. 140.

أنه كانت لعناصر جريدة الراشدي علاقات حميمة مع عناصر جريدة الإسلام، فقد كانوا يتبادلون المقالات و الملخصات لبعض الموضوعات الساخنة، و استمرت الراشدي في الصدور منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الأولى، حين توقفت عن الصدور بسببها (أي الحرب)[1].

ونضيف كذلك كل من صحيفة الجزائر و ذو الفقار لعمر راسم[2]، حيث أسس صحيفة الجزائر في 1908، و التي تميزت بتنوع قراءها من الجزائريين، كما اهتمت بقضايا الوطن العربي وتطورات الأوضاع هناك. وقد عرفت بلهجتها الحادة عند تناولها القضايا الوطنية، و قد حددت أهدافها في العدد الأول، فهي تعمل على توعية الشعب الجزائري و اطلاعه على أسرار السياسة الخارجية، و لكنها لم تعمر طويلا بسبب لهجتها الحادة و غياب المطابع العربية و فقرها المالي، و بالتالي صدر منها عددين[3].

كما أصدر عمر راسم سنة 1913 جريدة أسبوعية ذات مظهر متواضع للغاية اسمها ذو الفقار تيمنا باسم سيف رسول الله –صلى الله عليه و سلم– ؛ و قد أنشأت للدفاع عن السنة المحمدية و محاربة البدع الشيطانية التي أدت إلى إهلاك الجزائريين، كما يمكن إدراج هذه الجريدة ضمن الخط الإصلاحي لمحمد عبده، و قد تميزت بمعرفتها النخبة الجزائرية المفرنسة[4].

---

[1] صفصاف، المرجع السابق، ص. 143.

[2] عمر راسم: هو عمر راسم ابن علي بن سعيد بن محمد، ولد في سنة 1884 في بجاية و هو صنهاجي الأصل، أدخله والده لكتاب لحفظ القرآن الكريم فحفظه و هو سبع سنوات و عمل في وظيفة حزاب بجامع سفير و هو في ثانية عشر من عمره، كما تلقى كذلك الدروس على يد محمد ابن مصطفى خوجة، و درس في المدرسة الشرعية الفرنسية، و قد عاصر مدرسة الصحافة زبداية التجديد و حركة الجامعة الاسلامية، كما عاصر الأحداث التي جرت بين اليهود و الفرنسيين في نهاية القرن، كما تفطن مبكرا للمخطط الصهيوني. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط. 1، دار المغرب الإسلامي، ج. 5، بيروت، 1998، ص ص. 282–286.

[3] صفصاف، المرجع السابق، ص. 144.

[4] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر. ميحياتن محمد، ط.خ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص. 39.

و نذكر كذلك جريدة "كوكب إفريقيا" التي أصدرها محمد كحول بالمسجد الأعظم بالجزائر العاصمة سنة 1907م، و أصدر معها تقويم[1] عرف كذلك "بكوكب إفريقيا" حيث صدرت منه أعداد مختلفة، و تعد هذه الجريدة من بين الجرائد التي كانت تدور في فلك السياسة الاستعمارية العامة و تقوم بالدعاية لها، و لعل هذا ما أتاح لها لتعمر طويلا حتى 1914 مقارنة بالصحف الوطنية الأخرى، كما أنها لم تختلف عن الصحف الاستعمارية في ذلك الوقت إلا في اللسان العربي[2].

كما أنه لا يمكن إغفال جريدة "المشعل" التي استعملتها النخبة المفرنسة لنشر أفكارها التقدمية و إظهار التعلق بالشخصية الجزائرية، و ذلك مثل حرصهم على التمسك بالقيم الإسلامية و التقاليد الجزائرية[3].

2-الجمعيات و النوادي:

يرجع ظهور الجمعيات و النوادي إلى البحث عن ساحة جديدة و بديلة لتعبير عن المطالب و الأفكار، و ذلك لتجنب الرقابة المفروضة على الصحف و التي كانت تجاربها قصيرة بسبب تعرضها للمصادرة و المضايقة، و من بين الجمعيات نذكر الجمعية التوفيقية التي كانت تهدف من خلال برنامجها إلى التوفيق بين الجزائريين و الفرنسيين. و قد تأسست سنة 1908م و أعيد تنظيمها سنة 1911م، و كان رئيسها الدكتور ابن التهامي و نائبه محمد صوالح، و قد نظمت هذه الأخيرة سلسلة من المحاضرات العلمية سنة 1911 حول القانون الإسلامي العام أو ملامح العالم الإنساني المعاصر ؛ كما نذكر كذلك الجمعية الراشدية التي تأسست في سنة 1894، و قد أيد بعض الفرنسيين ميلادها، و كانت تصدر نشرة بالعربية و الفرنسية و عقدت سلسلة من المحاضرات الهامة، و ساعدت على نشر

---

[1] التقويم: هو إصدار حكم لغرض ما على قيمة الأفكار و الأعمال و الحلول و هو يتضمن استخدام المحكمات والمستويات و المعايير لتقديم مدى كفاية الأشياء و دقتها و فعاليتها. للمزيد أنظر: www.ELTOB.GY بتاريخ: 7 جانفي 2017.

[2] المدني، المصدر السابق، ص. 137.

[3] بحوش، المرجع السابق، ص. 203.

التعليم و الأخوة بين أفراد المجتمع الجزائري، و من بين المحاضرات التي نظمتها سنة 1907م نجد مثلا محاضرة لابن بريهمات: تاريخ الطب العربي باللغة العربية و أخرى لابن التهامي حول مرض السل باللغة الفرنسية و محاضرة كذلك لعبد الحليم ابن سماية: تاريخ الأدب العربي باللغة العربية، إلخ[1].

ومن بين النوادي المؤسسة، نذكر نادي صالح باي الذي أسس سنة 1907م من طرف مجموعة من المثقفين الجزائريين و بدعم من بعض الشخصيات الفرنسية، فنجد مثلا أنه ترأسه فرنسي يدعى أريب، و ضم في صفوفه أعلام جزائريين مثل ابن الموهوب و مصطفى باشطارزي و محمد بن باديس[2].

و كانت الجمعيات و النوادي تمثل نقطة التقاء و تجمع النخبة الجزائرية، و تبادل الأفكار بين أعضائها ؛ و لقد انتشر بشكل كبير في كل من تلمسان و قسنطينة و عنابة وجيجل، وذلك بالاعتماد على القانون الذي صدر في سنة 1901 و الذي ينظم و يسمح بتأسيس الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي و التعاوني و الثقافي بين سكان الجزائر، و الملاحظ أن تأسيس الجمعيات و النوادي كانت ظاهرة اجتماعية جديدة في المجتمع الجزائري[3].

3-العرائض و الوفود:

كما لجأ عنصر النخبة الجزائرية إلى استعمال العرائض و الوفود، علما أن استعمال العرائض لم يكن جديد، فقد تم استعمالها مثلا من طرف حمدان خوجة[4] في مقاومته

---

[1] إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، دار المدني، الجزائر، 2009م، ص. 196.

[2] خيثر، المرجع السابق، ص. 239.

[3] صفصاف، المرجع السابق، ص. 146.

[4] حمدان خوجة: هو حمدان بن عثمان خوجة من عائلة جزائرية عريقة، حيث كان خاله الحاج أمينا للسكة قبل الاحتلال، أما والده فكان فقيها، ولد بالتحديد في سنة 1773، حفظ القرآن و العلوم على يد والده، ثم دخل المرحلة الابتدائية التي نجح فيها بتفوق، فأرسله والده مكافئة له مع خاله في رحلة إلى اسطنبول سنة 1784، ثم انتقل إلى المرحلة العليا حيث تلقى فيها علم الأصول و الفلسفة و علوم عصره. للمزيد أنظر: حمدان خوجة، منتدى الكتب و المطبوعات، www.STARTIMES2.com، بتاريخ 17 جانفي 2017.

للاحتلال الفرنسي، و كانت العرائض في ذلك الوقت تعبر عن الاحتجاج و الشكوى، فمثلا في سنة 1860 تقدم الجزائريون بعريضة إلى الحكومة الفرنسية محتجين فيها ضد مشروع الحكم المدني في الجزائر، كما بعثوا بعرائض لنابليون الثالث و إدارة الاحتلال طالبين من فرنسا احترام معاهدة 1830 و مطالبين بوضع حد لسلطة المعمرين، و اشتكوا كذلك في هذه العرائض بأن أصواتهم كانت غير مسموعة، و أرسلوا كذلك عريضة في سنة 1887م إلى المجلس الوطني لإلغاء مشروع تجنيس الأهالي ؛ أما العرائض التي استعملها عناصر النهضة الجزائرية في مطلع القرن العشرين فكانت تحمل مجموعة من المطالب، و قد لجأوا كذلك إلى استعمال و إرسال الوفود، و من بينها نذكر وفد سنة 1908 الذي بعثته لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين إلى باريس ليعبر للسلطات الفرنسية عن مطالب الجزائريين، وقد قاد هذا الوفد السيد بضربة و هو عضو جزائري في بلدية الجزائر العاصمة، و كان هذا الوفد يمثل أول وفد يعبر البحر المتوسط منذ سنة 1833 لشرح القضية الجزائرية[1].

وقابلوا بذلك رئيس الوزراء الفرنسي كليمانصو بتاريخ 3 أكتوبر 1908 و قدموا إليه عريضة باسم الجزائريين، و احتجوا له كذلك عن مشروع التجنيد الإجباري، و أصروا عليه أن يحصل الجزائريون على حقوقهم السياسية قبل أداء الخدمة العسكرية، فشجعهم باقتراح بعض الحقوق مثل انتخاب الجزائريين في المجالس العامة للعمالات بدلا من تعينيهم من الإدارة الفرنسية[2].

كما استخدمت النخبة الجزائرية للمحافظة الشعر و النثر و كذلك النثر الصحفي وأصبح عدد منهم خطباء و محاضرين في ميدان التعبير عن حقوق الجزائريين[3].

و عليه يمكننا أن نقول أن جماعة النخبة المفرنسة استطاعت و رغم خرافة التفوق العرقي للعنصر الفرنسي أن تثبت جدارتها و كفاءتها في الميدان[1]، و تربط نشاطها بما كان

---

[1] سعد الله، تاريخ الحركة ...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 180.

[2] نفسه.

[3] سعد الله، تأملات ...، المرجع السابق، ص. 80.

يعيشه العالم الإسلامي أي فكرة الجامعة الإسلامية و حركات التحرر القائمة في ذلك الوقت[2]. و من خلال ظروف نشأتها و نشاطها، يتضح أنها قامت بإعطاء الولاء لفرنسا لأن أفرادها لم يدعوا إلى حركة معارضة أو ينتموا لحزب سياسيا انفصاليا، بل لجأوا إلى العلم و المعرفة و اليقظة وتقليد الأوربيين ؛ أما المحافظين فركزوا على الخصائص المميزة للشعب الجزائري بالرغم من الظروف جعلته يعيش تحت الحكم الفرنسي، و من الذين أبرزوا هذه الخصائص ابن الموهوب، و المجاوي، و ابن رحال[3].

[1] يحى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، د.م..ج.، الجزائر، 1999م، ص. 348.

[2] إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم العربي، ط2، مكتبة عبيكان، الرياض، 2003، ص 400.

[3] سعد الله، تأملات ...، المرجع السابق، ص 88.

المبحث الثالث: ردود الفعل الفرنسية حول نشاط النخبة الجزائرية:

تعددت آراء و مواقف الفرنسيين من نشاط النخبة الجزائرية، و التي نوضحها كالآتي:

1- موقفها من نشاط النخبة الجزائرية المفرنسة:

أحدثت هذه النخبة ضجة في الأوساط الفرنسية فمثلا جلبت تعاطف الأحرار الفرنسيين، فنجد كلا من النائبان روزي و ألبان يطالبان فرنسا من تفهم أكثر لمطالب الجزائريين المسلمين، فقاموا بحملة في جريدة لوتان (le temps) ضد نظام الأهالي و طالبوا بالمساواة بين الفرنسيين و الجزائريين في العديد من المجالات و الحريات و إشراكهم في الحياة السياسية الفرنسية[1].

أما الاشتراكيين الفرنسيين، فرفضوا التعامل مع هذه النخبة و كل ما أظهروه لها من إبراز لهم الولاء و أنهم حقا كانوا يفكرون في كيفية تحسين أوضاع الجزائرية الاجتماعية[2].

كما وقف المعمرين ضد برامج هذه النخبة رغم اعترافهم بأن للاستعمار الفرنسي محاسن في الجزائر، و ذلك خوفا على مصالحهم[3].

و بالمقابل، حاولت الحكومة الفرنسية ترضية هذه النخبة فأصدرت في 13 جانفي 1914 قرار ينص على توسيع دائرة القسم الانتخابي الأهلي، و ذلك بتعديل المادة السابعة من قانون 1884 و نصت التعديل على زيادة أعضاء الجزائريين في المجالس البلدية على ألا تتجاوز الزيادة ثلث كامل الأعضاء و لا عدد 12 عضو، و على أن يكون عمر المصوت الجزائري 25 سنة، و أن يكون كذلك مقيم باستمرار في بلدية ثلاث سنوات كاملة دون انقطاع، و عليه أن تتوفر فيه إحدى الشروط التالية: أن يكون مالكا و مقيما في بلده سنة على الأقل، و أن يكون موظف لدى فرنسا في العمالة أو البلدية أو متقاعدا من وظيفته

---

[1] قداش، المرجع السابق، ص. 239.

[2] بحوش، المرجع السابق، ص. 206.

[3] سعد الله، تاريخ الحركة...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 181.

أو عضو في الفرقة الزراعية أو التجارية، حامل لوسام فرنسي أو حامل لشهادة من معهد تربوي فرنسي، أو حاصل على جائزة زراعية أو تجارية خاصة بالجزائريين[1].

و في 15 جويلية 1914م، ألفت الحكومة الفرنسية لجنة من 14 عضو لتناقش مشاكل الجزائريين، و صوت المجلس الوطني الفرنسي على الإجراءات التالية: إلغاء السلطة الإدارية و الحجز السري و تعويض ذلك بخمس سنوات سجنا مع تشديد المراقبة، استثناء بعض الجزائريين من القوانين الأهلية الزجرية، و إعطاء حق المطالبة بالاستئناف لمن طبق عليهم هذا القانون الجديد، و هذه الأمور عبارة عن ترضية فقط لهذه الفئة و حتى تضمن تجنيد أبناء الجزائر في الحرب العالمية الأولى[2]، حيث تمكنت من تجنيد حوالي سبعة عشر ألف في بداية الحرب العالمية وباقي الشبان قاموا بالفرار إلى الجبال فنشأ عن ذلك اضطرابات كبيرة متمثلة في مظاهرات عدائية قتل فيها عدد من الموظفين الفرنسيين والمعمرين وعدد معتبر من الأهالي[3].

2- موقفها من نشاط النخبة الجزائرية المحافظة:

أما كتلة المحافظين، فلم تقدم لها فرنسا شيء بل حذرت من إمكانية قيامهم بثورة مغتنمين بذلك مشاركة فرنسا في الحرب العالمية الأولى، خاصة و أنه كانت تتوفر لهذه النخبة الجمعيات الدينية القوية و التي ضمت آلاف الجزائريين[4].

---

[1] بوعزيز، الاتجاه...، المرجع السابق، ص. 28.

[2] نفسه، ص. 29.

[1] محمد الحفناوي ابي القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، تحق. خيرالدين شترة، ط. 2، دار كركادة، ج. 1، الجزائر، 2013، ص ص. 37-40.

(2) سعد الله، الحركة...، ج. 2، ص. 158.

ومن خلال تناول نشاط النخبة الجزائرية استنتجنا مجموعة من النتائج:

أولا: جسدت النخبة الجزائرية نشاطاتها بمجموعة من المطالب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ثانيا: انقسمت مطالب النخبة الجزائرية إلى قسمين حسب توجهات كل فئة (الليبرالية و المحافظة)، فالنخبة الليبرالية دعت إلى ضرورة تقليد المجتمع الأوروبي والأخذ بحضارتها، أما النخبة المحافظة، فدعت إلى التمسك بالعادات والتقاليد وعدم التعرض لفرنسا.

ثالثا: حاولت النخبة الجزائرية استعمال الوسائل العصرية للتعبير عن مطالبها، فاستعملت بذلك الصحافة المكتوبة والنوادي والجمعيات والعرائض والوفود.

رابعا: اجتهدت النخبة الجزائرية بشقيها وفق تصوراتها الثقافية، حيث انعكس ذلك في مطالبها التي من أبرزها رفض القوانين الاستثنائية، ومشاركة المسلمين الجزائريين في الحياة السياسية.

خامسا: تمكنت النخبة الجزائرية من خلال نشاطها من معارضة المشاريع الفرنسية نسبيا وتكريس حرية التعبير.

الفصل الثالث :

رواد النخبة الجزائرية

(الشيخ عبد الحليم بن سماية أنموذجًا)

تناولنا في هذا الفصل شخصية الشيخ عبد الحليم بن سماية بشكل كامل، فأشرنا فيه إلى نسبه ومولده وكيف كانت نشأته أي التربية العلمية التي تربى عليها، وأهم المؤثرات التي أثرت كذلك في تكوينه.

وبعدها قمنا بجمع أهم النشاطات الإصلاحية التي قام بها، فتناولنا في البداية الحملة التي وجهها إلى المجتمع الجزائري وخاصة الأولياء، وتطرقنا كذلك إلى توليته للتدريس في أهم المدارس والمساجد في ذلك الوقت وأهم اللقاءات التي قام بها مع كبار المثقفين سواء كانوا جزائريين أو أجانب زاروا الجزائر، وتكملة لذلك عرجنا على أهم انجازاته العلمية والفكرية التي خلفها للأجيال الصاعدة، وفي ختام هذا الفصل تناولنا وصفا لحالته في آخر أيام عمره، والتي صادفت سنة 1933م.

المبحث الأول : مولده و نشأته

1- نسبه:

هو عبد الحليم ابن علي ابن عبد الرحمن ابن حسن خوجة[1] من أوائل المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ محمد عبده (1849-1900م) الإصلاحي والداعي إليه، ومن أوسع علماء عصره علما وثقافة وينتمي إلى أسرة آل سماية، وهي أسرة كرغلية عريقة بمدينة الجزائر و يرجع أصلها إلى الأتراك ببلدة إزمير[2].

ويوجد في العاصمة الجزائرية آنذاك أسرتين مشتركتين في التلقين بهذا اللقب إذ أن كل منهما تدعى "ابن سماية" وكلتاهما من أصل كرغلي حيث هما في الواقع متباعدتان كل البعد عن بعضهما البعض لهذا يجب أن نفرق بينهم فأسرة الشيخ عبد الحليم ترجع في نسبها إلى حسن خوجة قاطع السكة بدار الإمارة الجزائرية على عهد الأتراك وهي الأكثر شهرة بلقب ابن سماية لكن لقبه الحقيقي هو "بكير خوجة"، أما لقب بن سماية يعرف به في الوثائق الإدارية إضافة كذلك إلى كامل إفراد عائلته، وهذه الأخيرة تلقب بهذا اللقب من الناحية الإدارية فقط عكس أسرة ابن سماية التي تلقب به في جميع الأحوال[3].

أما والده، فهو علي ابن عبد الرحمن بن حسن خوجة، وكان هذا الأخير رجل مثقف ثقافة عربية إسلامية عالية جدا، حيث أخذ عن الشيخ مصطفى الحرار الجزائري، كما مارس مهنة التدريس بالمساجد فعمل أولا مدرسا بجامع «سفير» ثم انتقل إلى الجامع الجديد، أما والدته فهي كريمة المحتد واسمها خدوجة بنت أمير خوجة، وتدعى كذلك خداوج، وهي من آل الشيخ مصطفى الكبابطي -آخر مفاتي المالكية في الجزائر في العهد العثماني-، والتي أجبرته السلطات الفرنسية على الهجرة نحو الخارج بسبب مواقفه الصارمة التي تمحورت على رفض

---

(1) انظر الملحق رقم 4.

(2) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط. 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م، ص. 178.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، ج. 15، الجزائر، 2004م، ص. 268.

وضع يد فرنسا على الأوقاف الجزائرية، لأنه كان يعمل في ذلك الوقت في إدارة الأوقاف، وبالتالي هاجر مع عائلته إلى مصر حيث استقر في مدينة الإسكندرية، فاستفادت من النهضة التي كانت تعرفها مصر في عهد محمد علي باشا[1] ؛ و بقي هناك حتى وفاته ، كما مارس أبوه مهنة الصحافة حيث كان يعمل محرر في جريدة المبشر، وهي جريدة تأسست سنة 1847م و كانت مزدوجة اللغة فرنسية عربية[2].

2- مولده و نشأته:

ولد عبد الحليم ابن سماية في سنة 1866م الموافق لسنة 1283م، في قلب مدينة سيدي عبد الرحمن الثعالبي التي كانت لا تزال تحتضن جل العلماء المتمسكين بثرائهم، حيث اعتنى والده بتربيته تربية أساسها الدين والأخلاق أي تربية دينية بحتة، ولما كبر وبلغ سن التعليم أخذه والده إلى كتاب بحي القصبة يعرف بجامع الرقيسة او ابن رقيصة وهو الشيخ حسن بوشاشية، وعليه تخرج من هناك مترجم للقرآن الكريم، كما تخرج على يده الكثير من العلماء وحملة القرآن في ذلك الوقت، كما كان والده يعمل على تلقينه مبادئ العلوم والتوجيه وبالمقابل كان يصطحبه معه إلى مجلس درسه في الجامع وبالتالي تعلم اللغة العربية والفقه والتوحيد، كما كانت لعبد الحليم فرصة لملازمة شيوخ بلاده مثل الشيخ علي بن الحاج موسى والشيخ محمد القزدالي والشيخ طاهر، فأخذ عن هؤلاء علوم اللغة العربية وآدابها وكذلك علوم الشريعة، كما تلقى الحساب على الشيخ ابن حمودة، وتعلم الربع المجيد في الفلك والتوقيت ومواقف العضد على يد الشيخ أبي القاسم الحفناوي صاحب كتاب «تعريف الخلف برجال السلف»[3].

---

[1] محمد علي باشا: ولد محمد علي باشا سنة 1729م بدينة قولة وقد تركه أبوه وهو في الرابعة من عمره، ولما بلغ أشده التحق بالجهادية زمنا ثم اشتغل بالتجارة، ولما قرر الباب العالي إرسال حملة إلى مصر بمساعدة انجلترا لطرد الفرنسيين من مصر فاستغل الفرصة وقدم إلى مصر وبقي فيها يتحين الفرصة حتى وصل إلى الحكم وأصبح والي مصر، للمزيد انظر: محمد صبري، صفحات من تاريخ مصر، ط. 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م، ص. 32.

[2] ابوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الاسلامي، ج. 3،بيروت، 1998، ص. 39.

[3] الجيلالي، المصدر السابق، ص. 179.

كما تعلم كذلك الفروسية والموسيقى حيث كان يتميز بحبه الكبير للموسيقى وساعده في تعلمها الشيخ فاتح بن براهم الذي كان يعتبر من أشهر العازفين على الآلات الموسيقية وكان ينتمي إلى عائلة بسيطة جدا، كما كان عبد الحليم بن سماية يطالع الجرائد القادمة من المشرق العربي بالإضافة إلى الجرائد الفرنسية، كما كانت له فرصة في تعلم اللغة العبرية على يد عناصر يهودية مثلما فعل محمد ابن شنب الذي كان زميلا له في المدرسة الثعالبية[1]، وقد هاجر مع جده من أمه إلى مصر ودرس هناك في المدارس التي أسسها محمد علي باشا حيث كان هذا يسعى إلى إدخال النظم الغربية في التعليم، وبالتالي تمكن عبد الحليم ابن سماية من أخذ مجموعة من العلوم الحديثة كالحساب والجبر والهندسة، وما يمكن الإشارة إليه هنا أن هذه العلوم علوم طبيعية جاءت من الدول الغربية عكس العلوم التي تلقاها في وطنه الآم الجزائر فكانت اغلبها علوم إسلامية دينية وهذا يعكس لنا مدى ارتباط علماء الجزائر بثقافتهم ودينهم[2].

وتلقى العلوم الكيميائية على يد الأستاذ جولي ألكسندر (Joly A.) في المدرسة الشرعية، وفيما يخص الفلك تعلمه على يد نجل عارف باشا حاكم بغداد أثناء زيارته إلى الجزائر، وما لوحظ على عبد الحليم بن سماية أنه كان يرتدي الزي العربي الإسلامي ويعتز به أشد الاعتزاز ويفسر ذلك أنه كان يقلد الشيخ ابن أبي شنب و المجاوي و ابن الكبابطي، وكان هؤلاء يهدفون إلى المحافظة على العادات والتقاليد وزرعها في نفوس الأجيال الصاعدة، حتى لا ينقادوا وراء الفكر الغربي والعادات الغربية التي كان يزرعها الاستعمار الفرنسي في نفوس هذه الأجيال من خلال تعليمهم في المدارس[3].

---

[1] الجيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850م-1950م)، تر. عمر المعرابي، ط. 1، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010م، ص. 225.

[2] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ط. 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج. 1، الجزائر، 2003م، ص. 116.

[3] سعد الله، المرجع السابق، ج. 3، ص. 65.

إضافة إلى ذلك بذل جهد كبير في تعلّم الفلسفة اليونانية خاصة المقولات العشر المنسوبة إلى أرسطو، فراح يبحث عن ذلك، فهاجر إلى تونس واتصل بشيخ كان صديق لوالده وهو الشيخ محمد ابن عيسى الجزائري والد الطيب بن عيسى صاحب جريدة الوزير التونسية وقد قام هذا الشيخ بمعاقبة تلميذه الشيخ عبد الحليم بن سماية، ولم يسمح له بالخروج أو التجوال حتى يتم تعليمه بشكل كامل، ولما أتم تعليمه حصل على إجازة منه[1].

كما تعلم كذلك في زاوية الشيخ محمد بن بلقاسم المدعوة بزاوية الشيخ الهال بقسنطينة، وكذلك تعلم في المدرسة التي فرنستها قرارات شانري ؛ لذلك يعتبر من المثقفين الذين يجمعون بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية، كما قام بزيارة إلى بلاد الشام التي تعد منبع الفكر الإصلاحي وقام بأداء فريضة الحج[2].

و كان يطالع الكتب والصحف في مقدمتها جريدة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد عبده، و هذه الجريدة لعبت دور كبير في تكوين شخصيته وزرعت في نفسه فكرة الإصلاح و النهوض من أجل تغيير الأوضاع، وهذا الأمر الذي يلاحظ في الدور الذي يقوم به الشيخ الفاضل[3].

ومن خلال تكوينه نقول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية أصبح من رجال العلم والفلسفة والأدب في الجزائر، ومن العلماء القلائل الذين تبنوا فكرة الإصلاح[4].

---

[1] الجيلالي، المصدر السابق، ص. 270.

[2] بلاح، المرجع السابق، ص. 344.

[3] نفسه، ص. 345.

[4] صفصاف، المرجع السابق، ص. 195.

المبحث الثاني: نشاطات وانجازات الشيخ عبد الحليم بن سماية.

لما نضج الشيخ عبد الحليم بن سماية وأدرك الخطر الذي يعاني منه الأهالي الجزائريين بادر لمحاولة الإصلاح، ويظهر ذلك من خلال الأنشطة والنصائح التي كان يقوم بها، والتي نوضحها فيما يلي:

1-نشاطاته:

لقد أدرك ابن سماية أن نهضة المجتمع وخروجه من دائرة التخلف لا يمكن أن تتحقق وتعرف النور، إلا إذا قام بحملة صادقة تستهدف محاربة الأمية وتشجيع العلم والعناية به وتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة عند الأولياء والذين كانوا لا يعطون أهمية لتعليم أبنائهم وفي ذلك يقول: "وإنه لو اتفق الناس على جلب أزهار العلم لوجدوا إليها سبيلا فيأمرون أولادهم بمخاطبة أهل العلم، أو يأمرون أولادهم أن يطلبوا من مدرسيهم أن يعلموهم، ويأمرونهم باجتماع عليهم في أوقات الدروس وفي المساجد أو يأمرونهم بتعليمهم ولو مسألتين أو ثلاث كل يوم بالسؤال ممن يعلمهم، ويوبخونهم على إضاعة الوقت، فلو فعلوا ذلك لحملوهم بالتعود على السؤال ذوق العلم، فيتأكد فيهم داعي الطلب من أنفسهم"[1].

ويلوم ابن سماية الآباء الذين لا يلاحظون ضعف مستوى أبنائهم الدراسي ولا يحركون ساكنا غير مبالين بعواقب ما يترتب عن ذلك كأنهم غير مسؤولين حيث قال: "لكن أرى الكثير من الناس يسمع ابنه وعمره خمس عشر يفول ولا يهمه ذلك والراعي مسؤول عن رعيته كما هو معلوم في الدين، إلا وأن العقول لا تسير ولا تكتمل إلا بالعلم والتعلّم"، وحتى يمكن تدارك العجز والوصول إلى تحقيق نتائج إيجابية حث الأولياء بضرورة تخصيص حصص من أوقاتهم لمجالسة أبنائهم ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم في الدراسة حيث قال: "فعلى كل عاقل يثقف عقول أبناءه بالتعلّم وأن لا يتكل على إرسالهم إلى من يعلّمهم فقط، بل يجعل لهم هو بنفسه حق من الزمان، الذي يمكنه محادثتهم فيها محادثة العاقل للعاقل لا

(1) عبد الحليم ابن سماية، "القوة الجاذبة"، في: جريدة المغرب، ع. 4، أفريل 1903، الجزائر، ص ص. 45-67.

محادثة احتقار كما يفعله كثير من الكبار مع الصغار، فإن ذلك مميت لقرائحهم وموقف لتغذيتهم فيبسط لهم ويشرح صدورهم"، وقد نصح الأولياء بضرورة الابتعاد عن أسلوب التعنيف والزجر في التربية لأن نتاج ذلك يكون سيء وبالمقابل دعي إلى نبذ الكسل وعدم التعلل بالأسباب الراهنة التي تدفع بصاحبها إلى الابتعاد عن العمل وفي ذلك يقول: "وأناخ عليه العجز بكلكة وترك الحركة لطلب معاشه، وربما لم يقم ليلا ونهارا من فراشه، وإذا قيل له احترف فضاعت الحرفة وإذا قيل له تاجر كسدت الأسواق، والعاقل إذا أمعن النظر في حال مثل هذا لا يحكم عليه إلا بأنه رجل غلب على عقله حبّ الراحة واستحسن أن يلحق بنوع الجماد الذي لا يتحرك"، أما إيمانه بالوحدة العربية فكان يعبر عن أصالة المجتمعات العربية حيث قال: "كان من أمة العلماء لا يعود عليهم بطائل يحذر من فتنة الأمة في دينها، إذ فتنتها في دينها أشد من قتلها"[1].

1-1. توليته التدريس:

لقد أدى كذلك الشيخ عبد الحليم بن سماية رسالة نبيلة وهي التدريس، حيث تولى التدريس أولا في المدرسة الحكومية الرسمية التي تقع في شارع السفراء بباب الواد وهي باللغة العربية جعلتها فرنسا لإنشاء الموظفين قبل بناء المدرسة الثعالبية وفي سنة 1906م دخلتها الفرنسية، فصارت بذلك مزدوجة اللغة، وبدأ التدريس فيها منذ 1896م وعمره حوالي ثلاثين سنة وفي هذه السنة كان قد أتم تكوينه العلمي والشخصي، وأصبح ذلك يتقن مجموعة من العلوم كما نضجت مواهبه، وأسندت له التدريس في الدروس العليا في اللغة العربية وكذلك التعليم كل من التفسير والتوحيد والأدب فقام بدوره على أحسن حال[2].

---

[1] عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر: 1925-1954، ج. 3، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص. 45.

[2] دبوز، المرجع السابق، ص. 116.

ومن بين النماذج التي درسها لطلبته رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وكذلك أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني مقتديا بالشيخ محمد عبده، وكان هدف الشيخ محمد عبده من تدريس هاذين النموذجين في الجامع الأزهر لأنهما يمثلان الدراسات الأدبية النقدية التي من شانها تربية الطلاب وتكوين اذواقهم، وقد درسها الشيخ محمد عبده قبل أن يدرسها الشيخ عبد الحليم بن سماية[1].

وبعد ذلك انتقل إلى هذه المدرسة الشيخ الجليل عبد القادر المجاوي، واتصل بابن سماية وعمل هاذين الشيخين مع بعضهما البعض على تكوين الطلبة على حب الدين والعلم، فأحيوا بذلك اللغة العربية والشريعة الإسلامية اللتين يريد الاستعمار الفرنسي القضاء عليهم، كما كان لهاذين الشيخين القدرة على التأثير على الطلبة، ففروا بذلك من العلوم الفرنسية والتفوا حول الفنون الشرعية، كما واصل الشيخين تقديم النصح والإرشاد لهؤلاء[2].

ثم تولى الشيخ عبد الحليم بن سماية التدريس في مدرسة الجزائر التي أصبحت تسمى بالمدرسة الثعالبية منذ حوالي 1896م عند إعادة تنظيم المدارس وفق إصلاحات 1895م، ومن النماذج التي درسها في هذه المدرسة "ألفيه ابن مالك" بشرح ابن عقيل و "شرح الأشمولي" وكذلك "العقد الفريد"، و"نهج البلاغة" و"ديوان الحمامة"، وهي الكتب التي سوف يدرسها في ما بعد الشيخ عبد الحميد ابن باديس[3][4].

---

[1] عبد الكريم صفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص. 115.

[2] دبوز، المرجع السابق، ص. 117.

[3] صفصاف، المرجع السابق، ص. 145.

[4] ابن باديس: ولد الشيخ في سنة 1889 وسط أسرة من اكبر الأسر القسطنطينية يمتد نسبها إلى أسرة مالكية وهي أسرة المعز الصنهاجي، وهي من بين الأسر التي تعاملت مع الإدارة الفرنسية، فنجد جده مثلا قد تحصل على وسام من نابوليون الثالث سنة 1864، أما أبوه فكان عضو في المجلس الأعلى للجزائر وأتم الشيخ حفظ القران في الثالث عشر من عمره واخذ مبادئ اللغة العربية على يد الشيخ حمدان لويسي الذي هاجر بعد ذلك إلى المدينة المنورة، اتجه إلى جامع الزيتونة مابين 1908-1912 وأتم تعليمه هناك وأثناء عودته إلى الجزائر تولى وظيفة التدريس، للمزيد انظر: محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، ط. خ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص. 9-10.

وبعد ذلك تولى الشيخ عبد الحليم بن سماية التدريس في الجامع الكبير، فكان له بذلك دور كبير في تطهير النفوس من الخرافات والبدع، كما دافع هناك عن الدين الإسلامي أحسن دفاع ووفق في وجهة المبشرون الذين كانوا يهدفون إلى إفساد مبادئ العقيدة الإسلامية ونشر التعاليم المسيحية في الأوساط الجزائرية[1].

هنا أشادت به تقارير المفتشين الفرنسيين من خلال الدور التعليمي الذي كان يقوم به في التدريس والإرشاد، كما أعجبوا بفصاحة لسانه، ومنحوا له عدة أوسمة في عهد الحاكم جونار كما منحت هذه الأوسمة كذلك لعدة أساتذة وشيوخ[2].

والتحق بالجامع الكبير (الحنفي) في 15 أكتوبر 1900م ، خلفا لأبيه الشيخ علي ابن سماية، وأصبح يقوم بوظيفتين ؛ وهذا ما جعله يقسم وقته إلى قسمين فخصص اثنتا عشرة ساعة في الأسبوع للتعليم في المسجد وأربعة عشر ساعة في المدرسة الثعالبية، وما لوحظ على الشيخ انه كان حنفي المذهب هذا ما جعل دروسه تقتصر على كتب الشرنيلالي والقدوري والطحاوي وابن عابدين، والنسفي ورسالة أبي محمد بن أبي فريد القيرواني المالكي، وهنا يذكر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أهم الكتب التي اعتمد عليها الشيخ في التدريس بالجامع الكبير خلال السنوات (1924-1926)، حيث ذكر ورقات أمام الحرمين في الأصول، شطر من تنقيح القراني رسالة العضد في علم الوضع، شرح السجاعي على المقولات العشر، الجوهر المكنون في البلاغة للأخضري (شرح المخطوط)، نظم الخزرجية في العروض، قطر الندى في النحو تفسير سورة البقرة بالجواهر الحسان للثعالبي، كتاب البصائر النصرية في علم المنطق لأبي سهلان بتعليقات الشيخ محمد عبده، إضافة إلى دروس عامة حول الأماكن التي كان يزورها وكذلك حول ما قرأه في الصحف وما ألقاه في النوادي.

---

[1] دبوز، المرجع السابق، ص. 117.

[2] سعد الله، المرجع السابق، ج. 3، ص. 95.

و قدم له وصف عن طريقة تأديته للدروس، حيث قال عنه أنها كان يتكلم بفصاحة تامة ويستعمل عبارات دقيقة وهذا راجع إلى غزارة مادته اللغوية التي تكونت فيه بسبب طبيعة تكوينه، ولا يتكلم أبدا العامية إلا في الحالات الاستثنائية ؛ وكان يستخدم العامية في النوادر والحكايات التي كان يرويها من أجل التسلية في المجلس العلمي، وهي دائما تحتوي على فوائد كما أنه كان يتحدث باللغة الفرنسية عند اللزوم، كما أنه كذلك كان يتكلم باللغة العبرية وكان يجادل أهلها بها ويقيم عليهم الحجة، فذات يوم قامت مناظرة بينه وبين حبر من أحبار اليهود حول إثبات تبشير التوراة بنبوة محمد –صلى الله عليه وسلم–، فأنكرها اليهود وأثناء مجادلته لليهودي قال عبارة وهي "وهمليخ هيا هو بمركبه توخح ارم"، فقال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أسرعت إلى كتابتها، ولما أتم مناظرته سألته عن معناها فأجاب أنها ألفاظ عبرانية تعبر عن ثبوت ذكر نبينا "محمد صلى الله عليه وسلم"[1].

1-2. موقفه من قانون التجنيد الإجباري:

لقد عارض الشيخ عبد الحليم بن سماية قانون التجنيد الإجباري معارضة شديدة، واعتبر الرضوخ له كفر بالله عز وجل وخروج عن الإسلام، وأمام هذا استدعته السلطات الفرنسية لسماع رأيه في الموضوع وعقد بذلك مجلس في دار البلدية بتاريخ 25 جويلية 1912م حضره كبار الشخصيات الفرنسية وعدد كبير من الأعيان والأهالي، ولما تم الجمع دخل رئيس البلدية وأصبح يشرح في قانون التجنيد الإجباري فقال: "إن الحكومة الفرنسية رأت أن تحشر أبناء المسلمين المراهقين تحت لوائها تنفيذا لمشروع ميسيمي وزير الحربية، وإنها قد وجهت إلى الوالي العام في هذا الشأن أمرا تحثه فيه على استشارة المجالس البلدية في الأقطار الجزائرية في شأن تنفيذ هذا المشروع وجس نبض الرأي العام الإسلامي فيه لتكون الحكومة على بصيرة من أمرها"، ولما أتم رئيس البلدية كلامه تقدم الشيخ بن سماية موجها كلامه إلى الحضور

[1] الجيلالي، المصدر السابق، ص. 278.

قائلا: "أيها الناس أتأذنون لي أن أتكلم بالنيابة عنكم وعن إذنكم، أم لا تأذنون فاسكت واصمت"، فجاب الناس بلسان واحد نقبل فنهض مشيرا إلى الحضور من الجزائريين قائلا: " لو أنهم ارتضوا بالخدمة العسكرية للدولة الفرنسية فإنهم لا يكنون بذلك مسلمين، ولو أنهم يطمعون مع ذلك في نيل بعض الحرية ودعوى أن ذلك يدفع فرنسا إلى منحها لهم مقابل تجنيدهم تكون الضربة القاضية على القومية الإسلامية والجنسية معا، إذ يقع بذلك اندماجهم في الأمة الفرنسية نهائيا"، فحدثت هناك ضجة وارتفعت أصوات بعض المستشرفين و المتفرنّسين محاولين إسكات الشيخ، لكنه استطاع مواصلة كلامه مستدلا على صحة كلامه في ما جاء في كتب الشريعة ونصوص القرآن والسنة، ولما أتم الشيخ كلامه صاح الحاضرون من أعيان وشيوخ أنهم موافقون تمام الموافقة على رفضهم لمشروع التجنيد الإجباري حتى ولو ضمن لهم الحقوق السياسية[1].

ولما تيقن من عزم فرنسا على تطبيق قانون التجنيد على الاهالي الجزائريين هم بمغادرة البلاد الجزائرية والهجرة نحو المشرق العربي شأنه شأن الكثير من علماء الجزائر الذين هاجروا حتى لا يخضعوا للقوانين الجائرة أمثال الشيخ حمدان لونيسي الذي هاجر إلى الحجاز احتجاجا على ظلم وقمع السلطات الاستعمارية للأهالي الجزائريين، وكذلك الشيخ محمد الطيب العقبي. وما لوحظ هنا إن البلد الأول الذي احتضن هذه الهجرة هي بلاد الشام نتيجة لما كانت تحتويه من نهضة علمية دينية، حيث باع الشيخ عبد الحليم بن سماية بيته الذي ورثه عن أبوه، وقد عرض كذلك أثاث منزله على السوق وودع جميع أصدقائه واستعد للرحيل ؛ ولما سمع أهل الجزائر بذلك أسرعوا إلى الأعيان والوجهاء ليمنعوه من ذلك وتوسلوا إليه قائلين: "لقد هاجر الكثير من العلماء والشيوخ قبلك وإن هجرت أنت فإلى من تتركنا"، فتأثر بذلك الكلام وعدل عن موقفه[2].

---

[1] موسى صاري، عبد الحليم ابن سماية، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. 11.

[2] نفسه، ص. 12.

كما كان للشيخ عبد الحليم بن سماية أعمال أخرى فهو الذي قام بنشر الفكر السلفي والإصلاحي في الجزائر، كما شارك في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بالجزائر في حدود سنة 1905م وكانت مشاركته في فن الموسيقى العربية حيث كانت ذاكرته تحتوي على حظ وافر من التوشيحات الجزائرية، ولما أصدرت فرنسا فتوى بمساعدة العلماء الموالين لها تجيز محاربة العثمانيين رفضها بشكل كامل قائلا: "لا يجوز محاربة العثمانيين فهم دولتنا"[1].

1-3. محاربة البدع والخرافات:

لقد قاد الشيخ عبد الحليم بن سماية حملة شرسة ضد البدع والخرافات وكذلك الإلحاد وعلى كل ما جاء به الاستعمار الفرنسي في إطار نشر الحضارة ومحاولة إفساد الأخلاق حيث كان شجاع جدا في هذا الأمر لا يخاف أحدا ويقول الحق في وجه إدارة الاستعمار على الرغم من أنها هي التي ولته، ولكن لم تستطع خلعه خوفا من ثورة الشعب عليها، كما انه كان يغير على العالم الإسلامي ويلاحظ ذلك من خلال إقباله على قراءة الجرائد الكبرى سواء كانت بالفرنسية أو العربية الواردة من كل الأقطار العربية، وكان يتمنى له النهوض والتحرر من الجهل والاستعمار بمختلف إشكاله[2].

1-4. لقاءاته:

لقد التقى الشيخ عبد الحليم بن سماية بمجموعة من الشخصيات الهامة والفعالة وحاول الاقتراب منها، ومن بين هذه الشخصيات محمد عبده(3) الذي التقى به أثناء زيارته إلى الجزائر في صيف 1903م، حيث هرع إلى استقباله وملازمته ليلا ونهارا ولم يفارقه أبدا حتى انتهت زيارته، كما مدحه في قصيدة بعثها إليه بالقاهرة نشر بعضها في مجلة المنار المصرية في

---

[1] رابح عمامرة تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربوي في الجزائر، ط. خ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009م، ص ص. 134-135.

[2] دبوز، المرجع السابق، ص ص. 122-128.

[3] انظر الملحق رقم 5.

عددها الصادر يوم 6 ذي القعدة الموافق لـ3 فبراير 1904م، وقد قدم لها صاحب المجلة الأستاذ محمد رشيد رضا قائلا: "قصيدة عالم جزائري بل أشهر علماء الجزائر مدح بها الأستاذ والإمام محمد عبده، وأرسلها إليه بالقاهرة في عهد قريب، فسرنا منه أنها آية من آيات صلة علماء الإسلام بعضهم بعضا في الأقطار المتابعة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به أهل المشرق من مقام الأستاذ الإمام"، ونحاول ذكر بعض الأبيات من هذه القصيدة:

فأنت لنا شمس تنير المدى أتى نورها من غير أن نتطلعا

أدير بذكراك الذي منك قد مضى فأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا

يذكر فيك المجد والعلم والتقى فانظر من علياك عرشا مرفعا

وتلوى إلى تلك المجالس فكرتي فتترك قلبي بالخيال ممتعا

محافل كان العلم فيها مجالسي أسامر بدرا بالجلال تقنعا

فاسمع فصلا من حكيم وحكمه إذا ما بدت خرت ذوي الزور ركعا

فما بال أقوام هدى الله عقلهم يمارون فيه والسحاب تقشعا

...إلخ(1).

كما أثنى صاحب المنار على صاحب القصيدة حينما تحدث عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر فقال: "فقد نال مراده فاجتمع بخيار العلماء والعقلاء الذين يقدرون الإصلاح قدره ومن خيارهم الشيخ محمد ابن خوجة صاحب المصنفات والأستاذ الشيخ عبد الحليم ابن سماية"[2].

كما إن الشيخ محمد عبده هو الأخر مدح الشيخ عبد الحليم بن سماية[3] عندما نزل بصقلية وبالضبط في "بلرم" حيث كان متجها إلى تونس، وما نستنتجه هنا أن الشيخ محمد عبده أثر

---

(1) الجيلالي، المصدر السابق، ص. 272.

(2) نفسه، ص. 273.

(3) انظر الملاحق رقم 6.

بشكل كبير في الشيخ عبد الحليم بن سماية، مما جعله يتبنى مذهبه الإصلاحي وجعل جريدة المنار مددا لحياته[1].

وكذلك من بين الشخصيات التي التقى بها ونقلت لنا أخباره هو الأستاذ احمد توفيق المدني، حيث أورد أنه كان على موعد معه في مزرعة السيد محمد ابن الأكحل غير بعيدة عن بلدة "الأربعاء"، حيث قال أنه دخل المكان مع صاحب الدعوة ووجدوا الشيخ عبد الحليم بن سماية يتوسط القاعة ووصفه قائلا: "كان الشيخ جليلا، ابيض الوجه تعلوه حمرة تركية، ازرق العينين، حاد النظر، قاسي الملامح فقام للسلام علي ولم تتغير ملامحه ولم تبد على وجهه أدنى بشاشة... قال لي: مرحبا بك ثم سكت طويلا، وكنت أتكلم معه أحيانا وأتكلم مع صاحب الدعوة وهو ساكت لا ينطق ، لا يتحرك، لا يبدي إشارة كأنما هو صورة مجسمة من الشمع الملون كما كنت أرى في متحف الفريقان بباريس[2]. فتعجب احمد توفيق المدني من الحالة التي وجد فيها الشيخ عبد الحليم بن سماية، فقال للسيد محمد بن الأكحل: "أهذا هو الشيخ عبد الحليم بن سماية العالم الشهير الذي طبق صيته أفاق العالم الإسلامي؟ قال لي: نعم فأردت أن أتعرف على حالته بعدما أحيل على المعاش وأصبح ملازم الوحدة و السكوت[3].

وواصل أحمد توفيق المدني محاولته من أجل التحدث مع الشيخ فقال له: "بالله يا أستاذنا العظيم وأنت رجل العلم ومربي الجيل وحامل لواء القرآن، إن قلبي يذوب ويلتهب وانأ أرى حال هذا البلد الذي كان أمينا فأصبح مهانا ذليلا وحتى رعاة الخنازير يريدون الاحتفال باحتلاله فازداد وجهه احمرارا، وازدادت نظرته حدة وازدادت ملامح وجهه قسوة، حتى خيل ليى انه يثور ثورة عنيفة مرعبة، ثم عاد إلى سكوته، فواصل ذلك محاولا التحدث معه بكل إصرار فقال له: "رد إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فل تغيروا ما بأنفسكم من ذلة واستكانة ورضوخ وتشتت الشمل وقلة النصح، وخوف العالم وانهيار الإيمان بغير الله حالكم إلى أحسن

---

[1] طالبي، المرجع السابق، ص. 36.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج. 2، الجزائر، 2010م، ص. 78.

[3] المدني، المصدر السابق، ص. 78.

حال"[1]، وهنا استطاع احمد توفيق المدني استنطاق الشيخ فقال له: "لقد قال الله ذلك لقوم يعقلون، وما نزلت أية من القران هي أهدى للألم، وأدل على طريق الحرية والسعادة كهذه الآية، لكن أين من يفهم، وأين من يسمع، وأين من يعي؟ فتأسف الشيخ عبد الحليم بن سماية من الواقع الجزائري المعاش، كما انه لم يعجب بالطلبة الذين كونهم من خلال فترة تعليمه، لأنهم لم يأخذوا بالنصائح التي قدمها لهم ولم يسعوا إلى تغيير الواقع الذي هم فيه، وزاد من معاناته بعدما احتفلت فرنسا بمئوية الاحتلال في سنة 1930م[2].

وكذلك من بين الشخصيات التي التقى بها الشيخ عبد الحليم بن سماية، وهي شخصية الأستاذ "لخضر حسين" الذي كان عضو في مجلس اللغة العربية، وشيخ في الجامع الأزهر، وقد مدح هذا الأخير الشيخ في مقاله في مجلة "السعادة العظمى" التي كان يصدرها بتونس، فقال: "فالتقينا بالشيخ عبد الحليم بن سماية فغمرنا بنفحات حلقه الناظر، وفصاحة لسانه الساحر"[3].

2-انجازاته العلمية:

رغم ما تميز به من ثقافة واسعة إلا أن إنتاجه العلمي لم يبلغ إنتاج ابن أبي شنب ولا ابن الخوجة ولا الحفناوي، لأن التدريس قد أخذ من وقته حيث تفرغ لتكوين الطلبة بدلا من التأليف، كما انه تأثر بروح العصر التقليدية والمتمثلة في البحث عن الأسانيد العلمية وعن الانجازات، فكانت هجرته إلى تونس بسبب ذلك، فحصل على إجازة كتاب "المواقف للعضد"، كما أجازه الشيخ محمد بن بلقاسم وقاضي تلمسان، كما كانت له إجازات من المشرق العربي [4].

وهذا لا يعني انه ليس له أعمال، بل هي قليلة ومنها نذكر الرسالة التي رد فيها على من أباح الربا وعنونها "اهتزاز الاطراد والربا من مسالة تحليل الربا"، وهي رسالة غزيرة المادة في

---

[1] نفسه، ص ص. 79-80.

[2] المدني، المصدر السابق، ص ص. 81-82.

[3] الجيلالي، المصدر السابق، ص. 276.

[4] سعد الله، المرجع السابق، ج. 3، ص. 94.

موضوعها استوعب فيها الأحكام الفقهية، ودعا فيها علماء الإسلام قاطبة إلى تحمل مسؤوليتهم أمام هذا الموضوع ، كما كتب بحث مطول ألقاه في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر تناول فيه الحضارة الإسلامية وفلسفتها، وقد رفض المستعمر الفرنسي طبع هذا العمل ضمن أعمال الملتقى لاحتوائه على حقائق هامة لا تخدم الاستعمار، وكما كتب بحثا في العقائد رد فيه على شبه الملحدين والمعروف برسالة "التوحيد والرد على شبه المبطلين والملحدين"، كما أنّ له رسالة أخرى عنوانها "الكنز المدفون والسر المكنون"، وكذلك له عدة مقالات صحفية في كل من جريدة "الأقدام" و "المبشر" و "الوزير"، لاسيما جريدة "كوكب إفريقيا" لمحمد بن ألي، وصدرت هذه الجريدة ما بين عامي (1909-1914)[1].

كما كان الشيخ يتقن الموشحات الشعرية فألف الكثير منها، وهنا نذكر نموذج على هذا النمط، وهي مقطوعة نظمها بمناسبة مدحه صديقه الأستاذ أحمد بن الأكحل، وقد أوردها في رسالة "روح السعادة"، والمطبوعة في الجزائر سنة 1925م، فقال:

رعى الله أمر يرى المعالي يسامر نجمها جنح الليالي
له نفس لها لحظ طموح إلى أعلى ذرى حسن الخلال
له عقل له انف شموخ أبي طلوعا كالهلال
وخير الناس من يهدي أناسا إذا ركبوا أهاويج الظلال
وخير الهدى هدى من لسان امون ناصع للروز قالي
...إلخ[2].

كما نظم قصائد في أهم الأحداث الكبرى، و منها نذكر الرسالة التي وجهها إلى الشيخ محمد عبده[3].

---

[1] صاري، المرجع السابق، ص. 14.

[2] الجيلالي، المصدر السابق، ص. 280.

[3] دبوز، المرجع السابق، ص. 130.

المبحث الثالث: وفاة الشيخ عبد الحليم بن سماية

لقد تميز الشيخ في أخر عمره بميزات مختلفة عما كان من قبل، فأصبح عديم المبالاة بنفسه فلا يلتفت إلى مظهره ولا إلى هيئته في ملبسه وهندامه وحتى سلوكا ته اليومية، فيقال انه اتخذ لمركبه حصانا وتمنطق سيفا، وأخذ يتجول بين أروقة وإحياء الجزائر وكثيرا ما كان يشهر سيفه في وجوه المستعمرين، ويدعو الناس إلى النهوض من سباتهم والاستيقاظ من نومهم، ورغم هذا بقي عقله مستوعبا للعلوم فكان يجيب السائلين عن دقائق العلوم[1].

ويقال أن هذا المرض العقلي الذي أصاب الشيخ هو مرض وراثي انحدر له من احد أجداده، وكان السبب في مرضه كما يعتقد الكثير هو قوة وجدانه وشدة حماسه وبغضه للاستعمار خاصة بعد القضاء على ثورة عبد الكريم الخطابي، حيث هذا الحدث أثر فيه كثيرا فأصيب بمرضه العقلي في سنة 1924م، لكن شفي منه وأصيب مرة أخرى سنة 1928م فأجبر على المعاش وأعفي من التدريس، فأصبح ينهض باكرا ويصيح في المدن مثل الجزائر البليدة، قصر البخاري[2].

و بعدها أمسك عن الكلام ولازم الصمت وبقي على هذه الحالة، حتى اجتمع جيرانه وهم سكان ضاحية "الحامة" في شهر رمضان، وقرروا فيما بينهم التوجه إلى الشيخ ليعقد لهم مجالس دينية في ليالي رمضان، ووقع اتفاقهم على أن يكون مجلس الدرس بزاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري بالقرب من مسكن الشيخ، وعلى أن يكون الدرس ما بين العشاءين فعرضوا عليه ذلك فوافقهم على ذلك، وشرع بالفعل في تدريس رسالة أبي زيد القيرواني من أول رمضان، فكان يأتي ولا يحمل سوى المتن فقط، فالتف حوله الجمع وسار بهم الشيخ على هذا المنهاج أياما أربع، وفي الليلة الخامسة حضر مثل عادته وشرع في تقديم الدرس، وهنا شعر بإرهاق شديد فصمت، فأسرع إليه الحضور وأخذوا بيده وأسعفوه ورافقوه إلى منزله، وأثناء

---

[1] صاري، المرجع السابق، ص. 15.

[2] دبوز، المرجع السابق، ص. 131.

رجوعهم من المنزل ودعهم الوداع الأخير، وكان ذلك في يوم الخميس أول يوم من سنة 1933م، و كان قد بلغ من العمر حوالي خمس وستون عاما [1].

وقد شيعت جنازته في يوم الغد في جو مشحون بالحزن والأسى، وقد كتب على قبره المرحوم العلامة سيدي عبد الحليم بن سيدي علي بن إسماعيل المتوفي في 5 رمضان 1351هـ الموافق لـ 1 جانفي 1933م[2].

[1] الجيلالي، المصدر السابق، ص. 288.

[2] طالبي، المرجع السابق، ص. 34.

في ختام هذا الفصل، توصلنا إلى مجموعة من النتائج، والتي نذكرها كالأتي:

أولا: إن البيئة المحافظة والشريفة التي نشأ فيها الشيخ بن سماية كان لها دور كبير في تكوين شخصيته وتمسكه بالقيم الإسلامية والعربية.

ثانيا: هناك مجموعة من الشخصيات أثرت في الشيخ عبد الحليم بن سماية، مما جعلته يحاول السير وفق مناهجها ومنها نذكر الشيخ محمد عبده الذي اثر بشكل كبير في تكوين شخصيته.

ثالثا: ما لوحظ على الشيخ عبد الحليم بن سماية أنه تحمل المسؤولية في سن مبكر جدا، ويظهر ذلك في أنه تزوج في سن الواحد والعشرين، وكذلك في توليه للتدريس شابا.

رابعا: كان الشيخ يتميز بشجاعة خارقة، ويظهر ذلك في مواقفه من أهم القوانين الفرنسية مثل قانون التجنيد الإجباري.

خامسا: أن إنتاجه الفكري والأدبي كان قليل جدا، لأنه ركز على التعليم بشكل كبير.

خـــــــاتمة

خاتمة:

في ختام هذا البحث العلمي المتواضع و بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع الّتي تخصّ البحث، خلصنا إلى مجموعة من النتائج:

1- إن السياسة الفرنسية المتشددة ما بين 1870 و 1900 وتأثير العوامل الخارجية التي كان يمر بها العالم الإسلامي كان لها دور كبير في تنشيط عناصر النخبة الجزائرية مع مطلع القرن العشرين.

2- تشكلت النخبة الجزائرية من كتلتين بارزتين أولهما النخبة المحافظة وثانيهما النخبة المتفرنسة.

3- تجسدت نشاطات النخبة الجزائرية بشقيها في مجموعة من المطالب السياسية و الاجتماعية تعددت فعاليتها من خلال بعث وإحياء التراث العربي الجزائري وتقديم العرائض وبعث الوفود.

4- على الرغم من اختلاف وجهات النظر في مطالب النخبة الجزائرية، إلا أنها كانت أهدافها مشتركة وتجسدت في القضاء على الاستعمار الفرنسي ومشاريعه الرامية إلى دمج الأهالي الجزائريين مع فرنسا و القضاء على عناصر و مكونات المجتمع الأهلي الجزائري.

5- حاولت النخبة الجزائرية بشقيها اللجوء إلى الوسائل العصرية المتاحة في ذلك الوقت مثل الصحافة المكتوبة.

6- هناك مطالب مشتركة بين عناصر النخبة الجزائرية والتي تمثلت في حرية الهجرة نحو الخارج وإلغاء القوانين الاستثنائية، وبالمقابل اختلفوا حول قانون التجنيد الاجباري .

7- هناك شخصيات لامعة في سماء النخبة الجزائرية تستحق تناولها بالدراسة منها اوردنا شخصية الشيخ عبد الحليم بن سماية .

8- ما لوحظ على العناصر النخبوية انهم تلقوا تكوينهم في المدارس الفرنسية التي تأسست في حدود 1850م، وكذلك في الزوايا و المساجد والمدارس العربية الإسلامية ؛ وهذا ما أثر في وجهات نظرهم من خلال نشاطهم.

9- يعد نشاط النخبة الجزائرية مطلع القرن العشرين النواة الأولى لظهور الاتجاهات السياسية والإصلاحية التي أصبحت فيما بعد أحزاب وجمعيات ذات برامج تهدف إلى تغيير أوضاع المجتمع الجزائري بمطالب محددة (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية).

10- هذا النشاط لم يقلق الإدارة الفرنسية ولم يعقها في تطبيق قوانينها وأهداف سياستها، لهذا لجأت إلى تقديم بعض الإصلاحات من أجل إسكات عناصر هذه النخبة.

الملاحـــــــق

الملحق رقم 1

وفد الشبان الجزائريين الى باريس سنة 1912[1]

[1] انظر: رابح لونيسي، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م ، دار المعرفة، ج. 1، الجزائر، 2010، ص. 26.

الملحق رقم 2

عريضة توضح لنا مطالب النخبة المفرنسة في سنة 1912م

إن قرار 3 فيفري 1912الخاص بتطبيق قانون التجنيد العسكري الاجباري على الافغان الجزائريين، قد أثار سخط عظيمة في كل أنحاء البلاد، أنها مشاعر تهدد بالاستمرار إذا لم يوضح جد في كل انحاء البلاد كان السبب في اثارتها.

وأمام هذه الحالة فان الاعيان الممضين أسفله، المعبرين عن رأي الاغلبية من مواطنهم يعتقدون أنه من المفيد أن يقوموا بتوضيح الوضع الى الحكومة الفرنسية فب باريس وذلك باطلاعها على رغبات المسلمين (الجزائريين) الذين يشعرون بان هذا العمل الجديد (قانون التجنيد) الذي أضيف الى اعمال أخرى سابقة ثقيلة، يجب أن يصحبه /بالمقابل تحسين لأحوالهم.

وان أعضاء الوفد، بوحي من عدد ضخم من العرائض التي كتبت في جميع أنحاء الجزائر، وباقتناع منهم بان جميع أبناء فرنسا يجب أن يستجيبوا، دائما لندائها، يعلنون أن اهالي الجزائر مستعدون للقيام بكل وجباتهم، كأبناء مخلصين نحو أم الوطن.

ولكنهم من جهة يعتبرون الامور التالية ضرورة:

أ–ان الخدمة العسكرية يجب ان تخفض الى سنتين (بدلا من ثلاث) على قدم المساواة مع الفرنسين الاخرين.

ب–أن يكون سن التجنيد واحد وعشرين، بدلا من ثمانية عشر لان المجندين فب هذا العمر (18) لم يتكونا جسميا بصفة عاملة.

ج–ان مقابل الخدمة يجب وقفه، لان العائلات (الجزائرية) ستكون فخورة أن ترى أبناءها يعملون في صفوف الجيش الفرنسي بدون تعويض مالي.

وهم من جهة اخرى، يطالبون بالحصول على تعويض فعال يتمثل في التالي:

1. تغيير الاجراءات الاضطهادية
2. تمثيل نيابي جاد وكاف في الجالس الجزائرية والباريسية
3. تطبيق عادل للضرائب
4. توزيع متساوي لموارد الميزانية بين عناصر المختلفة من سكان الجزائر.

1) **الإجراءات الاضطهادية:**

إن الاهالي (الجزائريين) يخضعون بخصوص الجرائم والهجمات والاعتداءات لقوانين استثنائية يجدوا من الواضح انها لا تراعي القانون العام وهكذا فان المسمى (بقانون) الاهالي قد خلق بالنسبة إليهم مخالفات خاصة لا تحكم فيها التشريعات العادية ولكن يحكم فيها رجال من النظام الاداري المحلي، وهي حالة تشكل خرقا لمبدأ الفصل بين القوى.

ومن جهة أخرى فان الاهالي يشكون من المحاكم المسماة بالرادعة ومحاكم الجنايات التي لا تضمن طريقتها التحقيقات العادية. ودعنا نلاحظ ان هذه القوانين والمحاكم الاستثنائية ليس لها أصل في عهد الاحتلال. لقد خلقت فقط منذ سنة 1881 (قانون الاهالي) وسنة 1903 (المحاكم الرادعة والمحاكم الجنائية)

وبالإضافة إلى ذلك، فان هناك عقوبة خاصة (لا) تطبق (الا) على الاهالي وهي الاجتياز السري (ليتر دي كاشي) الذي لم ينص عليه أي قانون (شرعي) والذي لا يتبع تطبيقه اي طريقة قضائية. وفي الحقيقة فان امر من الحاكم العام كاف لاعتقال اي انسان، ولو كان من اكابر الاعيان، وابعاده عن عائلته دون السماح له بشرح وضعه والدفاع عن نفسه. ثم يؤخذ لمدة غير محدد الى معتقل خاص الذو الى جهة بعيدة من مسكنه وعمله وتسلط عليه الاقامة الجبرية (لذلك) فان الاهالي الجزائريين يطالبون بتغيير كامل لهذه الحالة.

2) **التمثيل النيابي للأهالي:**

ان الجزائر مجالس من المفروض أن الاهالي ممثلون فيها وهكذا فان القانون يسمح لهم من الحصول على ربع المقاعد في المجالس البلدية (البلديات الصلاحيات الكاملة)، ولكن دون ان يتجاوز عدد ممثليهم ستة. أما في المجالس العامة (العمالية) فان عدد ممثلي الاهالي قد حدد بستة دون استثناء. وأما بخصوص المجلس المالي (العام) الذي يبلغ اعضاءه 69 عضو فان ممثلي الاهالي فيه يشغلون 21 مقعدا فقط: منهم 15 ينتخبون انتخابا عن العمالات الثلاث (الشمالية) و6 عن منطقة (الجنوب) العسكرية يعينهم الحاكم تعيينا وام فيما يتعلق بالمجلس الاعلى (للحكومة) الذي يضم 59 عضوا منتخبين أو معينين فانه لا يوجد فيه اكثر من 07 أعضاء أهليين ،من بينهم 4 ينتخبهم المجلس المالي و 3يعينهم الحاكم العام عن المنطقة العسكرية.

ومن الوضح ان الاهالي لا يتمتعون بتمثيل فعال ومفيد في المجالس المحلية فالعدد القليل لم يسمح لممثلي الاهالي المنتخبين أن يشكلوا في كل مجلس سوى أقلية صغيرة لا تستطيع ان تمارس أي يشكلوا في كل مجلس سوى أقلية صغيرة لا تستطيع أن تمارس أي تأثير عن التصويت. وبالإضافة الى ذلك، فانه نظرا الى أن هؤلاء النواب الجزائريين لا يسمح لهم القانون بالانتخاب لا رؤساء البلديات ولا مساعديهم، فانهم لا يستطيعون أن يقوموا بأن عمل في توجيه ادارة البلدية.

أما بخصوص ادارة الانتخاب فان ممثلي الاهالي قد جاؤوا من قسم انتخابي مفيد جدا لا يأتي ضمان في أن يكونوا مستقلين والحق أن القانون الانتخابي بالأهالي قد تضمن الشروط التالية:

أ- بخصوص المجالس البلدية: الموظفون، والمتقاعدون والملاكمون لا ملاك فلاحية ومالية، والحاملون لوسام الشرف (ليبجيون دونور) أو لأي ميدالية تذكارية لهم فقط الذين لهم صلاحيات الترشح أما التجاوز والصناع وأصحاب المهن الحرة، مثل الاطباء والمحامين ورجال الاعمال، فانهم جمعيا مستثنون من حق الترشح للانتخاب.

ب- وأما بخصوص المجالس العامة فان القانون الانتخابي قد حصر المنتخبين في أفراد الاهالي المستشارين والمساعدين في المجالس البلدية. ولكن نظرا الى أن كل هؤلاء المساعدين موظفون مسؤولين مباشرة لعامل العمالة، ونظرا الى أنهم يشكلون الاغلبية في كل الدوائر الجزائرية الانتخابية، فانه لا يمكن لمرشح غير مؤيد من الادارة أن يفوز. وهذا أيضا يفسر لماذا تجد تسعة عشر من ممثلي الاهالي في

المجالس العامة وفي المجلس المالي موظفين، نتيجة لتوقفهم الكامل على الادارة والحق أن ممثلي الاهالي في المجالس العامة مازالوا كما كانوا في الماضي، يعينون من الادارة.

هذا هو (واقع) التمثيل النيابي بالنسبة للأهالي لذلك فان السكان المسلمين (الجزائريين) يطالبون بما يلي:

1. توسيع قانون الانتخابب الخاص بالأهالي لكي يضمن فعالية وصالحية التصويت.
2. زيادة عدد ممثلي الاهالي في المجالس الجزائرية بنسبة خمسي عضويتهم.
3. يجب توحيد قانون اجراء الانتخابات لكل المجالس الجزائرية في حالة ضرورة اجراء انتخاب من الدرجة الثانية لانتخاب المستشارين العاملين وأعضاء المجلس المالي، يجب إعطاء حق التصويت الى المستشارين المنتخبين في المجالس البلدية واستثناء المساعدين الاهليين.
4. يجب أن يكون للمستشارين الاهليين في البلديات حق انتخاب رؤساء المجالس البلدية ومساعديهم.
5. يجب ان تكون النيابة غير متناسبة مع وظيفة القيادة والمساعدين الاهليين.
6. يجب تمثيل الاهالي في المجلس الوطني الفرنسي، أو في مجلس (خاص) يخلف في باريس حيث يمثل الاهالي نواب ينتخبونهم بأنفسهم.
7. يجب أن يكون لأولئك الاهالي الذين يقبلون الخدمة العسكرية اجباريا، او بطريقة التجنيد، أو التطوع الحق في اختيار الجنسية الفرنسية، بناء على طلب بسيط، دون اللجوء الى الطرق الحاضرة (المعقدة)

3-إصلاح الضرائب: إن الجزائريين يطالبون بتعديل النظام المالي تعديلا مبنيا على مبدأ المساواة في تعويض الاثمان.

4-توزيع الموارد المالية: إن المجموعة الفرنسية (الكولون) التي تتمتع وحدها في الوقت الحاضر بتمثيل نيابي جاد وفعال في المجالس المحية في الجزائر وفي المجلس الوطني الفرنسي في فرنسا، وهي الوحيدة التي تستطيع أن تتصرف في الميزانية.

وهكذا فان معظم الموارد المالية تصرف بطريقة تكاد تكون تامة على مصالح العناصر الاوروبية (الكولون) إن أعظم حاجات الاهالي الى حاكم يظفر بأية ترضية تقريبا، بل أن نفقات كبيرة قد خصصت لكثير من البلديات، بينما بقيت أعمال في الدرجة الاولى من الاهمية بالنسبة للأهالي المسلمين تعاني (الاهمال).

إن هذه الحالة بصفة خاصة غير عادية، وذلك لان الميزانية العامة، بالإضافة إلى الميزانية البلدية والعمالية، تمول في أغلب الاحيان من ضرائب يدفعها الاهالي. وإن إحداث نظام تمثيلي جاد للأهالي هو الذي يسمح بخلق توازن في التعويضات في الموارد المالية.

هذه هي الرغبات التي صاغها أعضاء الوفد الاهلي الممضيين أسفله، الذين تملأهم الثقة في روح عدل وكرم حكومة جمهورية. وإن تحقيق هذه الرغبات عظمة وخير كل من فرنسا والجزائر[1]. باريس – جوان 1992.

أنظر: يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص ص. 24-30.

الملحق رقم 3

نموذج عن النشاط التعليمي لنخبة المحافظة في حدود سنة 1907.

المسجد الكبير: يشغل المدرس السيد الحفناوي خمس مرات في الاسبوع ، من منتصف النهار الى الساعة الواحدة، والذين يحضرون دروسه هم من عمال المسجد البسطاء ومن الخوص المسلمين الذين هم غرباء عن المدينة في الاصل ،ولكنهم مرتبطون بها أعمالا وشغلا ،والقصد من حضورهم الدروس هو تعميق ثقافتهم المتوسطة بمعلومات دقيقة لها علاقة بواجباتهم الدينية ،ويدرس السيد الحفناوي لمستمعيه باب الشعائر من الفقه الاسلامي، وفقا لسيد خليل ،والمدرس جد مثقف ،ويتمتع بفكر حر وواضح ،سلس في لغته يكيف دروسه بحيث تكون في متناول تلامذته بشكل جيد ، وهذا ما يجعلنا نطمئن لفهم مستمعيه لدروسه ونتأكد من استفادتهم من تعليمه ،وهو يعرف عندما تحضره الفرصة كيف يعطيهم بعض مبادئ العلوم الأوربية ويجعلهم يتقبلونها ،من ذلك مثلا أني سمعته عرضا يقول خلال هذه السنة من بين ما قاله في درسه بأن العرق يشتمل بنسبة معينة على أحد العناصر الكيمائية .

السجد الجديد: يشتغل ابن سماية من الساعة العاشرة والربع إلى الحادية عشر والربع، خمس مرات في الاسبوع ومستمعوه من عمال المسجد ومن بعض الخواص الراغبين في التعلم وكذلك من طلبة القسم العالي بمدرسة الجزائر وخلال الفترة الممتدة من أكتوبر سنة 1906م إلى مارس سنة1907م كان قد درس قواعد النحو العربي، أما من مارس إلى جويلية من سنة 1907.

فقد درس مادة البلاغة، وان ما يمتاز به من علم وبيان، ولغة سليمة وفكر حر قد جعل من السيد ابن سماية أحد المتعاونين الاجلاء بمدرسة الجزائر، ونفس الخصائص المذكورة نجدها واضحة في دروسه التي يلقيها بالمسجد وهي مفيدة كالتي يلقيها بالمدرسة تماما.

مسجد صفر: يشتغل المدرس مصطفى كمال من الساعة الحادية عشر إلى منتصف النهار ،ولخمس مرات في الاسبوع وقد استأنف دروسه بعد فترة توقف خلال الاشهر الاولى من السنة الدراسية 1906م-1907م) ،وذلك لمرض خطير وأليم، وقد درس في هذه السنة مادة القواعد التي يحبها عمال المسجد، وبعض تلامذة السنة الخامسة من مدرسة الجزائر ،كذلك الخواص من السكان الاهالي بمدينة الجزائر، والسيد مصطفى كمال أستاذ لامع للغاية ،علمه واسع وصحيح ،وذاكرته عجيبة ،بالإضافة إلى أنه نابغة وخطيب موهوب ،وهو يدعو بشكل ملحوظ إلى حرية الفكر في موضوع العقيدة ،وفي إمكان الطلبة مهما كان مستواهم الثقافي عاليا أن يأخذوا منه الكثير ، ومن خصائصه أيضا قوة التأثير في مستمعيه ،هذا وأن وزنه لكتاب، ومن خصائصه أيضا قوة التأثير في مستمعيه ،هذا وأن وزنه ككتاب وأقدمه كرجل دين يجعلان منه نصيرا قابلا للاستعمال من عملنا (الحضاري) [1].

أنظر: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990م، ص ص. 232-233.

الملحق رقم 4

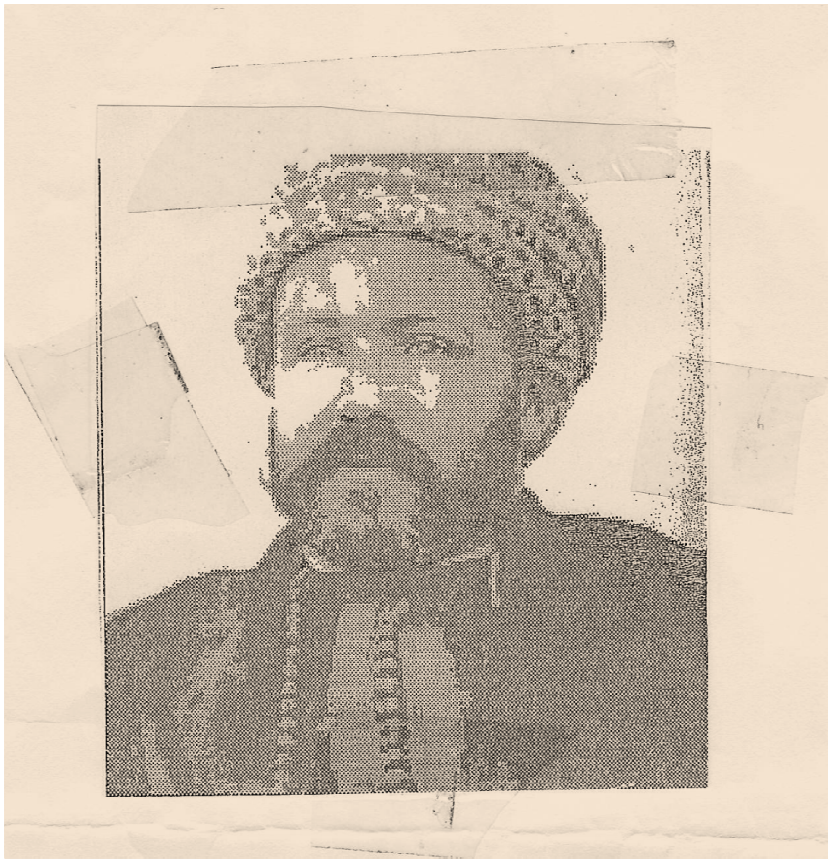

الشيخ عبد الحليم بن سماية[1]

[1] انظر: جيلالي صاري، بروز النخبة الجزائرية (1850-1950م)، تر. عمر المعرابي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010م، ص. 47.

الملحق رقم 5

الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري جالسا و إلى جانبه الاستاذ محمد عبده يوم أن زار الجزائر سنة 1903م [1]

[1] انظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر، ج. 5، الجزائر، 2004م، ص. 274.

الملحق رقم 6

رسالة الشيخ محمد عبده إلى الشيخ عبد الحليم بن سماية في 30 جمادى 1321-1903.

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الحليم بن سماية حفظه الله ...لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك ويعجبني رفيق رقيق من كمالك نجلك وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل والادب ولعرفت أنك ستكون أمام قومك تهديم أن شاء الله سبل الرشاد وتبصرهم بما يوفر عليهم الحظين: حظ المعاش وحظ المعاد، هذا هو أملي الذي أسأل الله تحقيقه، فخذ من الرسائل ما يبلغك بفضل الله غاية ما يرمي إليه استعدادك.

وأفضل ذلك فيما أرى استمرارك على مزاولة كلام البلغاء من أهل اللسان العربي، واتمام ما سبقت لك البداءة فيه من اللسان الفرنسي ثم دراسة أخلاق البشر وما يكون له أثر في تحويلها بتدقيق يجدر به لقب التحقيق. و من ذلك النظر في تاريخ الامة الاسلامية ،وتنقل الدين في أطواره ،وعلل ذلك وأسبابه ،حتى يتيسر الحكم في أمراض النفوس، وحسن اختيار الدواء الذي يناسبها ثم التقدم إلى كل سريرة بما لا تشمئز منه، ولا تبادر بالنفرة منه وبدل الجهد في حمل الهمم على طلب العلم لتستنير به البصائر في العمل، وشحن العزائم على الجد في السعي والكد في كسب الرزق من وجود الحل، والانفاق منه في سبل المنافع وطرق الخير، وأن يكون ذلك كله دينا للداعي لا يفتر عنه حتى يكثر في الناس من هو جدير بالنسبة إلى رب الناس ،وذلك في ذكاء ولدنا الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة الكمال، وإخلاص صاحب الفضيلة الاستاذ مفتي الحنفية (الشيخ محمد بن أحمد بوقندورة)

ما يساعدك على ما تقصد من نفع العامة، ونصح الخاصة.

واني وإن كنت على ثقة من كمال عقلك، ومعرفتك بما إليه حاجة المسلمين اليوم، فإني لا أجد مندوحة على التصريح بالتحذير من النظر في سياسة الحكومة أو غيرها من الحكومات ومن الكلام في ذلك، فإن هذا الموضوع كبير الخطر، قريب الضرر، وإنما الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العمل والجد في السعي، حتى يعيشوا في سلام وراحة مع من يجاورهم من أهل الامم الاخرى، ولا يتعلقوا من الوهم بحبل تتقطع في أيديهم متى جذبوها، فيسقطوا والعياذ بالله فيما لا منجاة منه.[1]

[1] أنظر: محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، دار المنار، القاهرة، 1931م، ص ص. 6-7.

القائـــــــــمة البيـــــــليوغرافية

القائمة البيبليوغرافية

أ-المصادر:

1-باللغة العربية

1. جيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام، دار الامة انشر والطباعة، ج. 5، الجزائر، 2004م.
2. حفناوي (محمد أبي القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، تحق. خير الدين شترة، ط. 2، دار كركارة،ج. 1، الجزائر، 2013.
3. حربي (محمد)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر. نجيب عياد صالح المثلوثي، موقع النشر، الجزائر، 2006م.
4. رشيد رضا (محمد)، تاريخ الأستاذ محمد عبده، دار المنار، القاهرة، 1931م.
5. طالبي (عمار)، الإمام عبد الحميد ابن باديس حياته وأثاره، ط. خ، دار كركادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
6. فاسي (علال)، الحريات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003م.
7. فرحات (عباس)، تشريح حرب، تر. أحمد منصور، دار المسك، الجزائر، 2010م.
8. فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر النحال، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م.
9. مهساس (أحمد)، الحركة الوطنية في الجزائر، تر. الحاج مسعود، دار القصبة لنشر، الجزائر، 2013م.
10. مدني توفيق (أحمد)، حياة كفاح، عالم المعرفة ، ج. 2، الجزائر، 2010.
11. مدني توفيق (أحمد)، كتاب الجزائر، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
12. ورتلاني (فضيل)، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2009م.

2- **باللغة الاجنبية:**

1. Abbas ferhat, le jeune Algrin, Rouiba, 2009.

ب-الرسائل الجامعية:

- بن عدة (عبد المجيد)، الخطاب النهضوي في الجزائر، 1925-1954، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005/2004م.

- بلمسعي (مسعودة)، التجنيد الإجباري وآثاره على الجزائريين، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012.

-خلفي (عبد القادر)، أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007/2006.

- فلاحي (رابح)، جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر (1954/1908)، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

ت- الكتب:

أ- باللغة العربية:

- إبراهيم شوقي (ناهد)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007م.

- الهاشمي علي (اياد) ،تاريخ أروبا الحديث ،ط1 ،دار الفكر ،عمان ،2010.

- حمل (شوقي)، تاريخ المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي إلى الوقت الحالي، المكتب المصري لنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.

- الطيب العلوي (محمد)، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2004م.

- الابراهيمي (طالب)، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية (1962-1972)، تر. حنيفي عيسى، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
- أجرون (شارل روبيرت)، تاريخ الجزائر المعاصر، تر. عياش سليمان، ط. 1، دار الأمة، ج. 1، الجزائر، 2010م.
- أجرون (شارل روبيرت)، الجزائريين المسلمين وفرنسا (1871-1919)، تحق. بلحاج مسعود بلعربي، دار الرائد للكتاب، ج. 2، الجزائر، 2007م.
- ابن خليفة (عبد الوهاب)، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط. 1، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013.
- الميلي (محمد)، ابن باريس وعروبة الجزائر، ط. 2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- القوزي علي (محمد)، دراسات في تاريخ العرب الحديث، ط. 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1999م.
- الزبيري (العربي)، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العربي،ج. 1، دمشق، 1999م.
- الأشرف (مصطفى)، الجزائر الامة والمجتمع، تر. حنيفي بن عيسى، دار القصبة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- الصديق صالح (محمد)، أعلام من المغرب العربي، ط. 2، دار كركادة، ج. 1، الجزائر، 2008.
- الفرحي كاشة (بشير)، مختصر وقائع و أحداث تاريخ الجزائر (1830-1962)، المؤسسة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- بوعزيز (يحي)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، ط. خ، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- بوعزيز (يحي)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

- بيوض (لميل) وآخرون، تاريخ العرب الحديث،ط. 1، دار الامل لنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.
- لحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962، ط. 2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 2005م.
- بن تينة (عمر)، المشكلة الثقافية في الجزائر، ط. 1، دار أسامة لنشر والتوزيع ، عمان، 2004م.
- بلال (البشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830م-1989م)، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.
- بلعباس (محمد)، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، الدر المعاصرة، لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- بلاسي (أحمد نبيل)، الاتجاه العربي الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، كلية الآداب، القاهرة، 1990م.
- بليل (محمد)، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائر، (1881م-1914م)، دار سنجاق الدين للمطبوعات، الجزائر، 2012م.
- تقية (محمد)، الثورة الجزائرية، تر. عبد السلام عزيز، دار القصبة، الجزائر، 2010م.
- تركي (رابح)، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر، ط.خ ، الجزائر، 2010.
- ثنيوا (نور الدين)، اشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، ط. 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2008م.
- حلوش (عبد القادر)، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013م.
- ولد خليفة العربي (محمد)، الجزائر المفكرة والتاريخية، دار الامة، الجزائر، 2007م.
- خثير (عبد النور)، منطلقات الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)، ط.خ، بئر رايس، الجزائر، 2010م.

- خيضر (ادريس)، البحث في تاريخ الجزائر (1830-1962)، دار المغرب لنشر والتوزيع، ج. 1، الجزائر، 2006م.

- دبوز علي (محمد)، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ط. 1، عالم المعرفة، ج.1، الجزائر، 2003م.

- زوزو (عبد الحميد)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990م.

- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط. 1، دار المغرب الاسلامي، ج. 4، بيروت، 1996م.

- سعد الله (أبو القاسم)، خلاصة تاريخ الجزائر (1830-1962م)، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1998م.

- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الاسلامي، ج، بيروت، 1998م.

- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ط. خ، دار المغرب الاسلامي، ج. 2، بيروت، 2005م.

- سعد الله (أبو القاسم)، بحوث في تاريخ العرب الحديث، ط. 2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 2005م.

- سعد الله (أبو القاسم)، تأملات وأفكار رجاحية، ط .2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 2005م.

- سليمان (الشيخ)، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، تر. محمد حافظ الجمالي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002م.

- سعود محمد عبد الهادي (جمال)، المجتمع الاسلامي المعاصر، الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2010م.

- سمورا (عبد المجيد)، تاريخ العرب المعاصر، الشركة الوطنية المتحدة للتسويق، طرابلس، 2009م.
- سوادي (هشام)، تاريخ العرب الحديث (1516-1918م)، دار الفكر، عمان، 2010م.
- شاعر (محمد)، السودان، ط. 2، المكتب السوداني، بيروت، 1981م.
- صاري (موسى) ،عبد الحليم بن سماية ،دار ابتكار لنشر والتوزيع ،الجزائر ،2010م.
- صاري (الجيلالي)، بيروت النخبة الجزائرية المثقفة (1815م-19950م)، تر. عمر معرابي، ط. 1، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010م.
- صبري (محمد)، صفحات من تاريخ مصر، ط. 2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1992م.
-عودة عبد الله (محمد)، تاريخ العرب الحديث، الدار الاهلية لنشر والتوزيع، عمان، 1989م.
-عمورة (عمار)، الموجز في تاريخ الجزائر، ط. 1، دار ريحانة، الجزائر، 2002م.
-عاشور كسب أحمد (محمد) ،صفحات خالدة (1500م-1962م) ،ط1 ،المؤسسة العامة لثقافة ،طرابلس ،2009م.
-عبد العزيز عمر (عمر)، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815م-1915م)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000م.
- فرغلي هريدي (حسن)، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، العمامرية للنشر، الاسكندرية، 2008م.
- فركوس (صالح)، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقيين إلى خروج الفرنسين، دار العلوم لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- قدورة (زاهية)، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- قنان جمال، دراسات في تاريخ الجزائر، وزارة المجاهدين، ج. 4، الجزائر، 2009م.
- قناش (محفوظ)، الحركة الاستقالية في الجزائر ما بين الحربين (1919-1935)، مركز الطباعة، الجزائر، 1982م.

- قداش (محفوظ)، الجزائر للجزائريين، تر. المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008م.

- لونيسي (رابح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، دار المعرفة الجامعية، ج. 1، الجزائر، 2010م.

- مالكي (أحمد)، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط. 2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1994م.

- مانتيران (روبيرت)، تاريخ الدولة العثمانية، تر. بشير السباعي، دار الفكر لدراسات والنشر والتوزيع، ج. 2، القاهرة، 2000م.

- مقلاتي (عبد الله)، المشروع الصليبي للاحتلال الجزائر و رودود الفعل الوطنية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010م.

- مياسي (ابراهيم)، المقاومة الشعبية، دار المدني، الجزائر، 2009م.

- مراد (علي)، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر، تر. ميحياتن محمد، ط خ، دار الحكمة، الجزائر.

- مورو (محمد)، الجزائر تعود الى محمد، دار المختار لنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.

- مناصرية (يوسف)، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية بين الحربين، دار هومة، الجزائر، 2013م.

ب-باللغة الاجنبية:

1- Ageron (charles-Robert), les Algériens Musulmams et la France (1871-1919), ENAG, ALGER, 2010.

ث- المقالات:

- أبو الامين التماني، "التوجه السياسي في فجر النهضة الحديثة في المشرق"، في: المنار، ع. 9، نوفمبر 1913م.

–عبد الحليم بن سماية، "القوة الجاذبية"، في جريدة المغرب، ع. 4، أفريل 1903م، الجزائر.

– محمد فريد بك، "الحرية الشخصية في الجزائر"، في: اللواء ،ع. 609، أكتوبر 1901م، القاهرة.

– عبد الحميد ابن باديس، "الصحافة مرآة الامم"، في الشهاب، ع. 70، أكتوبر 1930م، الجزائر.

– أحمد ميروش، "موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي في الجزائر خلال فترة الاحتلال"، في: مجلة المؤرخ، ع. 9–10، الجزائر، 2010م.

– سعد الدين بن أبي كتب، "النهضة العربية في الجزائر"، في: مجلة كلية الآداب، ع. 1، الجزائر، 1964م.

– ليلى تيتة، "تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائر خلال القرن التاسع عشر"، في: مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع. 7، الجزائر، 2014م.

– حياة سيدي صالح، السياسة الكلونية في الجزائر، في: مجلة الدراسات التاريخية، ع. 13، الجزائر، 2011م.

ج– المعاجم والموسوعات:

– بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830–1954م)، ط. خ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

– حليم ميشال حداد، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات، (تونس–الجزائر)، دار عادة، الجزائر، 1959م.

– نويهض عادل، معجم أحكام الجزائر من صدر الاسلام حتى عصر الحاضر، ط. 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م.

– مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة العربية والاعلام، دار المشرق، بيروت، 1990م.

ح- المواقع الالكترونية:

www.pdictory.com

www.startimes2.Com

www.eltobgy.com

خ- المحاضرات:

1- عبد العزيز شهبي، "المورعية الجديد"، محاضرة ألقيت بالبريد المركزي في إطار مؤتمر مكثف، الجزائر، 2009م.

فهـــــــــــــــرس

الموضوعـــــــــات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

الاهداء

الملخص

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: السياسية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة (1870–1900م)، و انعكاساتها....5

المبحث الأول: أوضاع فرنسا والجزائر في سنة 1870.....6

المبحث الثاني: سياسة فرنسا في الجزائر ما بين 170–1900.....7

المبحث الثالث: انعكاسات السياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة على الجزائر.....16

الفصل الأول: النخبة الجزائرية و عوامل تحرّكها.....**17**

المبحث الأول: التعريف بالنخبة الجزائرية.....19

المبحث الثاني :ابراز العوامل الخارجية المساعدة على نشاطها.....29

المبحث الثالث: ابراز العوامل الداخلية المساعدة على نشاطها.....37

الفصل الثاني: نشاط النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين.....42

المبحث الأول: مطالب النخبة الجزائرية.....44

المبحث الثاني: وسائل التعبير لدى النخبة الجزائرية.....55

المبحث الثالث: ردود الفعل الفرنسية على نشاط النخبة الجزائرية.....64

الفصل الثالث: من روّاد النخبة الجزائرية (عبد الحليم بن سماية أنموذجا).....67

المبحث الأول: مولده ونشأته.....69

المبحث الثاني: نشاطاته وإنجازاته العلمية.....73

المبحث الثالث: وفاته.....84

خاتمة.....88

الملاحق.....91

القائمة الببليوغرافية..... 100

فهرس الموضوعات